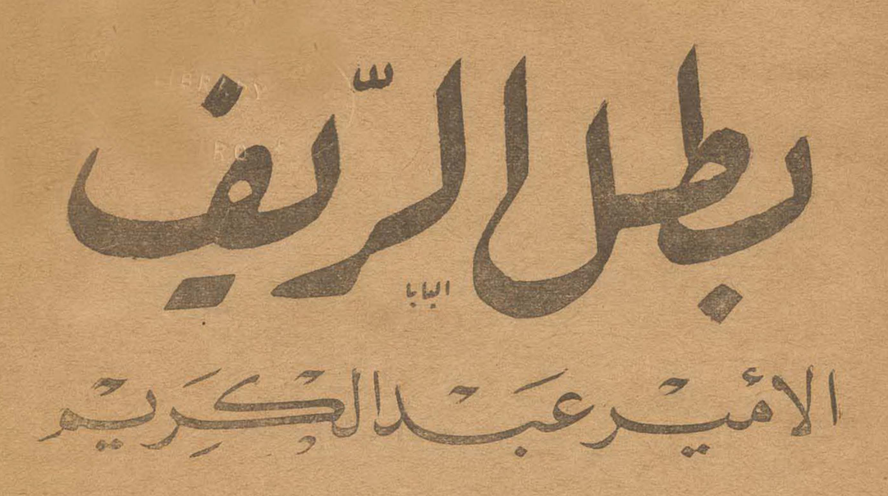
المكتبة الأهلية



بطل الريف
الأمير عبد الكريم

تخيره وعربه عن عدة مصادر اجنبية

عمر أبو النصر

الطبعة الاولى

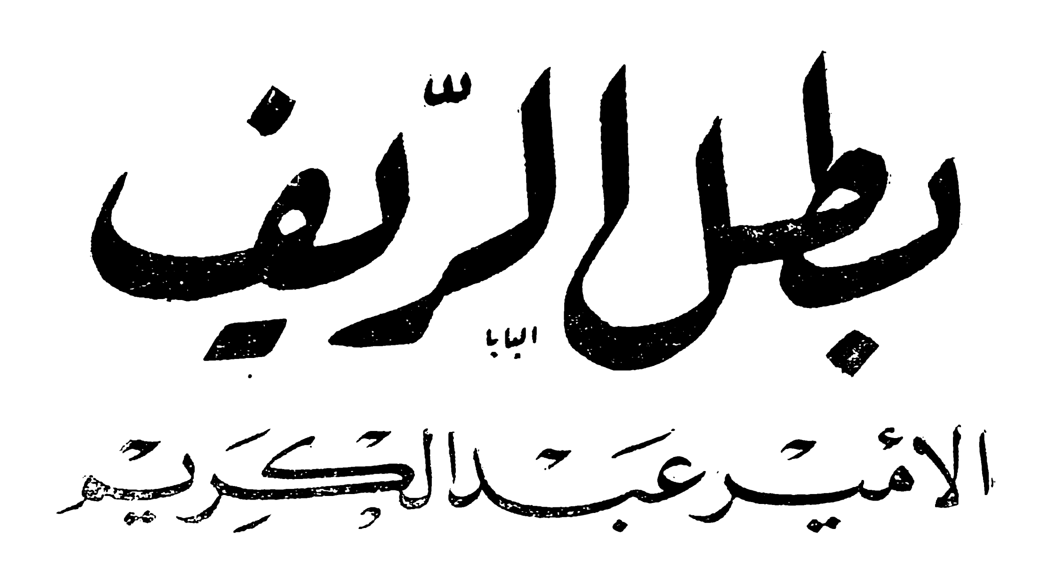
١٣٥٣هـ — ١٩٣٤م

المطبعة الوطنية : بيروت

مطبوعات المكتبة الأهلية

عني بطبعه ونشره
محمد جمال
صاحب المكتبة الأهلية

المكتبة الاهلية



تخيره وعربه عن عدة مصادر اجنبية

عمر أبو النصر

الطبعة الاولى

١٣٥٣هـ — ١٩٣٤م

المطبعة الوطنية : بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

ما يزال الكثيرون من جالية الاندلس في بلاد المغرب حتى اليوم يخلف الوالد منهم لبنيه في جملة مخلفاته مفاتيح داره في الاندلس املاً منه بعودة اولاده او حفدته في مقبلات الايام الى مواطنهم القديمة وبلادهم السالفة

وقد ايدت ذلك جريدة « دوتشبه الجمينه تسايتونغ» الالمانية في عددها الصادر في شهر ايلول ١٩٢٤ فقالت :

« وانه لذو شأن رمزي ما نراه من احتفاظ كثير من البيوتات المراكشية بمفاتيح القصور القديمة التي كانت لاجدادهم في طليطلة وقرطبة وغرناطة ، كأن من كانوا يوماً اربابها واصحابها سيعودون الى سكناها ، وتعود اليهم املاكهم المفقودة فيها » .

تخيرت هذا الكتاب من مصادر مختلفة وتوليت ماتخيرته بكثير من اللباقة والاعتدال والقصد لتخرج هذه الفصول وهي ابعد ما تكون عن الاهواء ، واقرب ما تكون الى الحقيقة التاريخية .

وعبد الكريم شخصية محببة ، نولتها المعارك فالمصائب بشيء كثير من العطف والحنان ، وقد كان في ماضيات ايامه ويوم راح يحاول استقلال بلاده ويعمل لتحرير قومه ملء الاسماع ملء الابصار يستبشر الشرق باخباره ، ويرتقب الناس احداثه ووقائعه ، ويتفاءلون خيراً بانتصاراته ، وتشرق وجوههم كلما ذكر اسمه ورددت ذكراه وهو اليوم في ذمة التاريخ ، فمن الحق ان نؤرخ له وننصفه ، ومن الفضل ان نتناول اعماله وحوادثه وحروبه وانتصاراته فانكساره بالانصاف اللائق بالمؤرخ المعاصر ، الخليق بالكاتب الصادق ، في ما يحاول تصويره من انباء زمانه ، واحداث عصره .

* * *

وعبدالكريم قصير القامة ، بدين الجسم صبوح الوجه مستديره اسود العينين ، حاد النظر ، ذو شعر اسود ولحية خفيفة تبدو على محياه دلائل اللين والرقة ، يلبس العمامة والجلباب المغربي وكثيراً ما يتزيّى باللباس الافرنجي ويضع النظارات على عينيه ، وليس للامير علامة فارقة يتميز بها سوى يديه البيضاوين الناعمتين ، وعينيه السوداوين .

وهو ضحوك الوجه لين العريكة ، يحب المبادرة ويكره التواني ، قليل الكلام كثير العمل يشتغل ست عشر ساعة في يومه دون ان تظهر عليه دلائل الملل والكلال ، ذو شخصية بارزة

وارادة قوية ، فاذا نظر اليه الانسان لاول وهلة يحار في ان يكون لهذا الرجل اللطيف المظهر الناعم الملمس ذلك التأثير العظيم على قبائل الريف القوية العنيدة .

واما صفاته واخلاقه وشخصيته فنترك تحليلها لرجال الصحافة الاوربيين من الذين مشوا الى عبد الكريم يحاولون الاجتماع به والتحدث اليه ، في ابان المعارك الحربية بين الريف والاسبان ، ونظن ان في هذه الشهادات البعيدة عن الهوى ، الصادرة من اغراب لا يمتون الى عبدالكريم ورجاله بنسب موصول ، وصداقة مرموقة ما يكفي لوصف هذه الشخصية الفذة وصفاً دقيقاً صادقاً .

قالت جريدة الديلي اكسبريس الانكليزية في مقال افتتاحي :

ان عبد الكريم يعد من بين كثيرين من مشاهير رجال العالم الذين لانعرف سيرهم الا في الروايات ، فهو شديد الحذر والانتباه لا يبوح بخطته إلا عند تنفيذها ، وقد عبأ جيشاً على أحدث نظام ودرب رجاله ومرنهم على اساليب القتال المعاصرة .

وقال المستر ورد بريس مراسل (الديلي ميل) الانكليزية وقد زار الامير في معسكره :

عبدالكريم في العقد الخامس من عمره ، وسيم الوجه رغم غضونه ، براق العينين ، له نظرات النسر ، مليح كاغلبية بني جنسه ، اجش الصوت جميل اليدين ، مهيب الطلعة ، وديع المحيا

دائم البسمة ، يشعر المتحدث اليه بطمأنينة وعطف ، وفي رأيي انه بريء مما يرميه به اعداؤه الاسبان من الوحشية والقسوة في معاملة الاسرى منهم وسفك دمائهم ، وقد حادثته طويلاً فوجدته رجلاً ذكياً هادئاً ، حذراً غامضاً .

وقال مراسل (المورنين بوست) في مراكش :

اذا نظر الانسان الى الامير لاول وهلة لا بد وان يحار في ان يكون لهذا الرجل اللطيف المنظر ذلك التأثير العظيم على قبائل الريف الشكسة ، ولكن من يعرفه يعلم انه ذو شخصية عظيمة فهو أحد اولئك الذين يولدون زعماء في ازمنة مختلفة بين الامم ليكونوا مصيرها ويتركوا اثرهم في تاريخ العالم ، وهو ليس زعيماً فحسب ، بل هو مصلح ايضاً ، وتأثير حكمه قد بلغ الى مدى يفوق حد التصديق في خلق الريف خلقاً جديداً .

وقال مراسل (التايمس) في طنجة :

ان الامير ابن عبد الكريم قائد مقتدر وهو يأمل ان يصل بطريقة معقولة الى امنيته ويصبح سلطاناً ، وقد جاءت حركاته العسكرية الاخيرة اسراراً ظهرت منها حكمة الريفيين الفائقة في اختيار مواعيد القتال والمراكز الحربية .

وقال الموسيو (اميل بوري) الكاتب الفرنسي :

ان مركز اسبانيا في المغرب الاقصى صار حرجاً ، وعبد

الكريم يعرف ذلك ويرى انه قد فاز بالنصر ، وعبد الكريم هذا عجيب القصة ، فقد تلقى العلم في (شلمنكا) وله رفاق واتراب في تلك الجامعة ، وتراه يطمع في ان يكون (الزعيم العصري) للاسلام ، زاره احد المخبرين الاميركيين موخراً فحدثه انه يستخدم التلفون وأداة الكتابة المعروفة والسيارة الكهربائية كما يستخدمها المسيو دومرج رئيس الجمهورية الافرنسية نفسه ·

ومكانة عبد الكريم اليوم سامية حتى في مستعمراتنا الجزائرية وهو نظير عميد البولشفيين يبعث دعاته الى جميع الاقطار التي يقصد اثارة اهلها وسكانها ·

وقال (المارشال ليوتي) مندوب فرنسا السامي في مراكش :

أرى ان خطر الحالة الحاضرة في الريف يتجاوز افريقية الشمالية فان العالم الاسلامي يرقب الحرب بين ابن عبد الكريم واسبانيا باهتمام عظيم ، والمعروف ايضاً ان افريقية الشمالية كلها تنظر بعين الاهتمام والعناية الى ثورة الامير ابن عبد الكريم ، وان الذين يثيرون الفتن يتوسلون بتقهقر الاسبان المتواصل مع ما عندهم من الجيوش والمدافع ومعدات القتال الحديث امام الوطنيين الريفيين ·

وقال المركيز (دي سيجونزاك) :

ولا ريب ان ابن عبد الكريم يمطرنا الآن وابلاً من الاحتجاجات السلمية بعد أن سوى المسألة الاسبانية ، ولكن من

يشك في انه سيرتد علينا ؟ ان العالم الاسلامي بأَسره يستحلفه ويحثه على ذلك ، وتعتبره الهند ومصر وتونس وغيرها محرر افريقية الشمالية وقاهر الظلم والاستبداد .

وقال المستر (كنورثي) عضو مجلس النواب البريطاني :

ان ابن عبد الكريم رجل حرب وجلاد وزعيم يعرف كيف يجعل الجماهير تنقاد اليه حتى صار الناس في الهند وبغداد والقاهرة يرون فيه رجلاً يصح ان يكون اميراً للمؤمنين وحاملاً لسيف الاسلام ، فاذا اصبح والحالة هذه في مركز يدعو فيه الى الجهاد في افريقية الشمالية وبلاد العرب والاناضول فان انكلترا وفرنسا وايطاليا يتعرضن لاخطار عظيمة ، ولا يبعد ان تمس هذه الاخطار دولاً أُخرى غير هذه ايضاً .

وقالت جريدة (دويتشه الجمينه تسايتونغ) الالمانية :

الامير ابن عبد الكريم زعيم القبائل المناهضة للاسبان رجل قدير ، ذائع الصيت ، وهو زعيم متعلم ، وقائد ماهر ، ومنظم حاذق ، وسياسي حكيم ، يعرف كيف يستعمل المنافسات لصالح أُمته ، وهو يحكم منطقة ندر ان ذاقت طعم الحكم الاجنبي أو استكانت حتى للرومان القدماء الذين اخضعوا الالب وآكام الالبان وما حولها من الامصار والمدائن .

***

هذا عبد الكريم وهذا شأنه كما راحت تصفه بعض الصحف الانكليزية وغير الانكليزية ، وكما راح يتصوره بعض الكتاب الافرنسيين وغير الافرنسيين ، وليس يقع في روعي بعد كل ماتقدم فيه القول من تاريخ الامير وحياته ، ومن حروبه ومعاركه ، ومن جهوده ونشاطه إلا أنه احدث حدثًا في التاريخ المعاصر ، وانه سعى فلم يوفق إلى تحرير بلاده واستقلال شعبه .

ولن يستطيع الكتاب والمؤرخون مهما بالغوا في يوم من الايام ، ان ينكروا ان عبد الكريم لم يحدث في التاريخ المعاصر الحدث الذي أشرت اليه ، ولن يضعف من حقه وجهوده ووطنيته فشله في ماحاوله واخفاقه في ماراح يعمل له من تحرير بلاده واستقلالها

ولو انه اتفق مع فرنسا لاستطاع باعتقادي ان يمكن لنفسه في الاستقلال الذي ينشده ، ولكان بالامكان ان يصار الى اتفاق بينه وبين الدول العظمى التي لها علاقات سياسية وتجارية في المغرب الاقصى .

ولقد تناول المستر لويد جورج الوزير الانكليزي الشهير الحرب في الريف فقال :

« يظل الاسبان في مراكش في شقاء وحرج ، فهم يمسكون وعول الريف من قرونها ولكنهم لايستطيعون ان يروضوها ، ولا ان يطلقوا سراحها ، فيرتطمون بقرونها من آن لآخر ارتطام الثائر

الصاخب ، فتدمي جباههم وتذهل احلامهم، لان الجبال تمد الوعول الثائرة بأبدع فرص الدفاع ، كما ان الثوار الذين يناضلون عن حرياتهم مولعون بحيل الجبال، يستمدون منها الغوث والمعونة...

لماذا نرى مراكش الافرنسية تنعم بالسكينة النسبية ؟ ؟ ثم نشاهد مراكش الاسبانية مصدراً مستمراً للاضطراب وسفك الدماء ؟ لعل سبب ذلك ان السواد الاعظم من سكان المنطقة الفرنسية يسكنون المروج الخصيبة فيهون اخضاعهم ، أما المنطقة الاسبانية فهي معترك من المفاوز والجبال .

ولقد زرت منذ عامين الجزء الذي تدور فيه المعارك الآن وكانت السكينة مخيمة عليه إلا جبهة مايلة حيث كان شعب الريف ثائراً يذود عن حريته ، وكان قد كبد الجيوش الاسبانية هزائم فادحة ، وغنم منها مقادير وافرة من الاسلحة والذخائر والاقوات وكان ذلك على أعظم جانب من الخطورة لشعب لم يكن يملك حتى الآن سوى الاسلحة القديمة ، واقواتاً لا تغني من جوع .

وقد استطاع الريفيون ان يشتروا كميات كبيرة من الاسلحة المهربة من طريق البحر ومن المنطقة الافرنسية ، وان يحصلوا من اسراهم على صنوف حديثة من الاسلحة وعلى مقادير طائلة من الاموال كان يفتدي بها الاسبان اسراهم من ايدي المغاربة ، فتشتري الذخائر بهذه الاموال ثانية ومن ثم يقاتل الريفيون فيهزمون عدوهم

ويأسرونه ، وهكذا سارت الاحوال من سيء الى أسوأ ٠

وقد كان على اسبانيا قبل هزائمها ان تقاتل شرذمة سيئة الاهبة من قطاع الطرق ، فوجدت أمامها بعد هزائمها قوة بديعة النظام شد عزائمها النصر ، فاتسع الخرق عليها عندئذ واصبح من واجبها ان تستعيد المنطقة الضائعة ، ولجأ جيشها المنظم الى مليلة وما حولها من الامكنة المتصلة بالساحل والتي يسهل الدفاع فيها ٠

يميل المرء الى الاعتقاد بان دِقة الاسلحة الحديثة تفوق القوة المادية وان الثورة ازاءها لاتسفر عن عواقب جسيمة ولكن حوادث الخمسة والعشرين عاماً الماضية في جنوب افريقية وفي ارلندا ومراكش تدحض تلك النظرية ، فقد اضطرت انكلترا ان ترسل في عرض البحار اربعمائة الف مقاتل وان تنفق مائة وخمسين مليوناً من الجنيهات لتخضع مستعمرة صغيرة من الفلاحين في جنوب افريقية (الترنسفال) وبعد ان خاضت غمار تلك المعركة الفادحة اضطرت ان تعقد صلحاً اعترفت فيه باستقلال البوير ٠

فما الذي يحدث الآن في مراكش ؟ ان لهيب الثورة يمتد ويندلع ، وبينما تظل منطقة مليلة في سكينة مسلحة اذا بمنطقة تطوان تكاد تخرج من ايدي الاسبان ٠

زرت مراكش في فاتحة عام ١٩٢٣ ، وقد كانت الطرق الموصلة الى تطوان قبل وصولي في خطر شديد بسبب اشتداد المعارك

التي كانت تدور عندئذ على مقربة منها ، وقد كبد انشاء الطريق الحربي والخط الحديدي الممتد إلى تطوان الاسبان كثيراً من الارواح ، وكان العمال يعملون بين صفوف الجند والقلاع ، ولم يجد الاتفاق مع الريسولي زعيم قبائل تلك المنطقــة نفعاً ، إذ يظهر انه لا صحة لما يدعيه من ثقة مواطنيه به ، فان نفوذه قد صار الى الاضمحلال بدليل ان منطقــة تطوان تضطرم اليوم كلها بنار الثورة والحرب ، وان الحكومة الاسبانية قررت ان تنسحب من المراكز التي نعتصم فيها القوات الاسبانية منذ عام ، وقد اكدت لي السلطات الاسبانية عندئذ ان السفر إلى الداخل حتى شِشوان مأمون العاقبة كسفر طيارة إلى غرناطة ، اما اليوم فلا يمكن ان يقال ذلك لان حرب الكمين تدور في الطرق ومنعطفات الجبال ، وليس بميسور المرء الوصول إلى غايته إلا تحت الخطر الداهم والموت الاكيد ....

يجب على الحاكم بامره الاسباني وحكومته ان يتخذوا قراراً حاسماً في تلك المشكلة تمليه شجاعة اكثر من شجاعة السياسي ، يجب ان يقرروا الانسحاب من مناطق الثوار كلها وإلا فالحرب ستلبث مدى اعوام ، فاذا اختاروا الحرب واستطاعوا ان يقدموا ما تقتضيه من الرجال والمال فان النصر في النهاية يبقى أَمراً يحوطه الريب ، بل ان هنالك شكاً في ثبات ما يسفر عنه النصر من النتائج .

ولا يرى الانسان في تلك الجهود الباهظة التي تبذل لاخضاع القبائل الجبلية ما يدعو الى ذرة من الامل ، وطالما اختارت شعوب أُخرى وجدت في مثل ذلك المأزق ان تترك مثل تلك المشاريع دون ان تفقد شيئاً من هيبتها ، فقد كان كثير من قياصرة رومة يحجمون عن محاربة العشائر الحربية التي تثور على الحدود ويفضلون التمتع بالمناطق الحصينة حتى تسنح الفرصة لاخضاع الثوار ، وهذا ما تفعله انكلترا بالنسبة لبعض المناطق في حدود الهند الشمالية ، فكثيراً ماتقتحم القبائل الجبلية الحدود بين الافغان والهند ، وكثيراً ما ترسل الحملات القوية لاخضاعها وهذه الحملات التأديبية تكبد الحكومة نفقات طائلة فتعود بوعد منها أن لا تعود الى الاغارة ، فلا تصاب هيبة انكلترا من جراء ذلك بسوء .

ولقد وجدت اسبانيا في مثل ذلك المأزق من قبل ولم تصب في عزتها فقد كان فقدها لكوبا نعمة للشعب الاسباني استطاعت على اثرها ان تسير في سبيل التقدم ، فاذا قيل اليوم بان الشرف العسكري في خطر التدهور ذكرنا القائلين بمسألة كوبا ، وكلما استمر ارسال الرجال والمال في عرض البحر اشتد الضيق في اسبانيا ، واني اشك فيما اذا كان الحاكم بأمره وحكومته تستطيع ان تعيش طويلاً ، وأما الحل الآخر فهو ان تكتفي اسبانيا بتحصين الشاطئ والذود عنه وفي هذا ضمان كاف لتجارتها ولحمايتها وصون شرفها .

هذا فصل عقده الوزير الانكليزي حول المشكلة الريفية الاسبانية وذلك قبل نشوب المعارك بين فرنسا والريفيين ، فلو تمكن عبد الكريم والحالة هذه من الاتفاق مع فرنسا واكتفى بمصاولة الاسبان لكان ما اراده وسعى اليه امراً منظوراً ، ولتمكن من توطيد مركزه في بلاده ، وتحرير شعبه واستقلال امصاره .

ولكن الاقدار ابت عليه الا ان يشرب الكأس حتى الثمالة ، فكان ما كان من اضطراب امره ، وانفضاض القبائل من حوله واضطراره الى التسليم ، فذهابه الى المنفى كئيباً .

عمر ابو النصر

ربيع الثاني ١٣٥٣ — آب ١٩٣٤



مذكرات عبد الكريم !

تمهيد سياسي تاريخي عسكري

اسباب الحرب الريفية — كيف قابلت عبد الكريم في مقره العام اثناء الحرب الريفيه وبعدها — وكيف تمكنت من حمله على الافضاء اليَّ بحديث سياسي قبل ذهابه الى منفاه «المؤلف»

- ١ -

اني متناول في هذا البحث — الذي لا أستطيع ان اسميه بحثاً تاريخياً بكل معنى الكلمة — الاسباب الاساسية الاولى للحرب الريفية الاسبانية الافرنسية ، وما كان لها من نتائج ، وما حدث فيها من وقائع ، ثم ما قمت به في ابان الحرب الريفية الاسبانية — كمندوب جريدة الماتان العسكري — من تخطي الخطوط الحربية ومقابلة عبد الكريم ، ثم اجتماعي به على ظهر (العبدة) وهي الباخرة التي اقلته الى منفاه

والواقع ان حرب الريف لم تكن غير حدث دموي ، راح يهدد في بعض الاحايين العالم كله بثورة اسلامية عامة ، فاما اسبابه وخفاياه فقد ظلت سراً من الاسرار ، ولكن الذي نعلمه هو ان اعداءنا راحوا يجربون في الحرب العامة احداث الثورة في البلاد التي تخفق عليها رايتنا ، وينتظم فيها حكمنا ، ومما يؤسف له ان خصومنا أو الذين كانوا يجربون الاصطياد في الماء العكر لاقلاق السلام في البلاد الواقعة تحت حمايتنا لم يكونوا من المحايدين فحسب وانما كانوا من الاصدقاء ايضاً ، وقد كانت غايتهم كما ظهر بعد ذلك ان يحدثوا من الاضطراب والشغب في البلاد التي نحكمها ما

يمكنهم من بسط نفوذهم عليها ، او قيامهم مكاننا فيها

وان في تصريحات عبد الكريم من الأهمية والشأن ، وفي اقواله من خطورة التهم الموجهة الى بعض الاشخاص ، ما حملني في اول الامر على التفادي عن نشرها في الصحيفة التي اعمل لحسابها ، وتركت ذلك لهذا الكتاب ، يتحمل فيه عبد الكريم مسؤولية تصريحاته ، بعد ان وافق عليها وبعد ان قرأتها له ، واني تارك للصحافة البحث فيها وتحليلها ونقدها ، كمستندات تاريخية تتناول اموراً هي والحق يقال من اهم مستندات التاريخ في العصر الحاضر

وقد رأيت ان انشر كل ذلك في هذا الكتاب ليكون مستنداً تاريخياً يرجع اليه عند الاقتضاء في بحث الحرب الريفية واسبابها ونتائجها ومصايرها ، كما اني اتحدى كل شخص يريد ان يعرض لهذه المستندات بتكذيب او انكار ، خصوصاً واني ما نشرت شيئاً ولا اثبت امراً الا ولدي البرهان على صحته وصدقه ·

- ٣ -

لماذا نحن في الريف ! ؟

لقد ذهبنا الى الريف في اول الامر للقيام بوظيفة البوليس الأفريقي ، وقد اضطرتنا الى ذلك رغبتنا في المحافظة على الجزائر وطرق المواصلات الشمالية التي كانت معرضة دائماً لغزو قطاع الطرق ، ثم رأينا الضرورة تقضي ببقائنا لقمع الثورة ، وتأمين السلام ، والمحافظة على الرعايا المغاربة الذين كانوا تحت حماية السلطان والواقع اننا لم ننزل المغرب فاتحين غالبين ، وانما نزلناه معلمين مثقفين .

ولقد كان المنطق يقضي بان تمتد الحماية الافرنسية الى مراكش كلها من حدود الاطلس الى الريف ، ولكن الظروف لم تمكننا من ذلك

ولست اريد التحدث عن المخابرات والاتفاقات والمعاهدات التي وقعت بين سنة (١٩٠٢ — ١٩١٢) والتي حملتنا على الاعتراف بالحقوق التاريخية المزعومة التي كانت لاسبانيا في مراكش الغربية ، والرضى بان تكون (طنجة) مرفأ حراً ، تخلصاً من الوقوع بمشاكل مع المانيا ، التي كانت تجتهد كل الاجتهاد في احداث هذه المشاكل وخلقها ، ولا في رغبتنا بمسايرة الحكومة الانكليزية التي كان لا

يسرها تبسط السلطان الافرنسي وامتداده الى حدود جبل طارق معقلها الحربي الحصين ، بل اكتفي بسرد الحوادث كما وقعت وفاقاً للتاريخ والحقيقة

كانت مراكش في اواخر سنة ١٩١٢ وقبل وقوع الحرب العامة مقسمة الى قسمين .

قسم سيطر عليه النفوذ الافرنسي ، وآخر راح يحكمه الاسبانيون ، وقد كان هذا التقسيم لبلد واحد سيء العواقب، بعيد الأثر في مصاير البلد نفسه ، ولو ان الاتفاق تم بين فرنسا واسبانيا على ان تسير النظم الادارية والوان الحكم في المنطقتين على صعيد واحد ، ونظم مقررة واحدة ، لكان الشر هيناً ، ولكن اختلاف العقلية بين الشعبين اوجد اختلافاً في التطبيق والادارة فراح كل واحد يحكم المنطقة وفاقاً لرغائبه وذهنيته وهي تختلف كل الاختلاف عن رغائب وذهنية الفريق الاخر .



- ٣ -

فاما الطريقة الافرنسية فقد بسطها المارشال ليوتي بصراحة ودقة لما تناول حديث الحماية في مراكش قال :

« الحماية تدخل او نفوذ اقتصادي واخلاقي في شؤون امة من الامم او جماعة من الجماعات لا بقوة السيف وانما بالاتفاق والسلام والسعي لاقرار نظام حكومي ثابت فيها يوافق رغائب هذه الامم وعقليتها وتقاليدها !!

اما النظرية الاسبانية في الحماية فقد عرضها المسيو مورا النائب في مجلس الكورتس في كتاب شهير جاء فيه ما يأتي :

« اذا اصبحت البلاد البربرية الريفية لنا يوماً من الايام فان واجبنا الاول هو طرد سكانها منها »

وهي نظرية سياسية واقتصادية ضيقة جداً ، ولكنها كانت نظرية عامة عند كبار الاسبان وقوادهم ، حتى انه لما نشبت الحرب بين الريف والاسبان ، كان قواد الاسبان ورجال السياسة فيها يسمونها حربا صليبية على الهلال !!

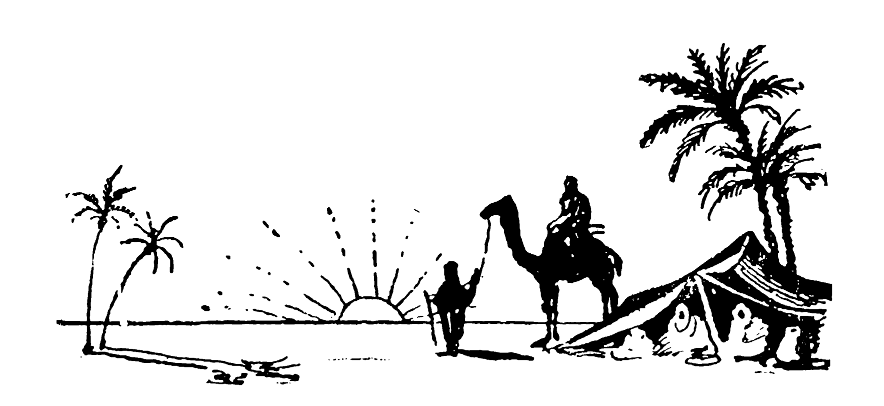
والواقع ان اللباقة السياسية كانت ضرورية جداً في معاملة قوم تعودوا على الغزو واستناموا الى استقلالهم البدوي ، ومهروا في

حرب الجبال والغارات بحيث كان بطوقهم مصاولة الجيوش المعاصرة وردها ، لانهم اذا تقبلوا وصياً مهذباً فلا يتقبلون ضابطاً او حاجباً .

اما الطريقة الافرنسية فقد كانت هادئة لبقة حذرة، فراحت تعنى بتقاليد القوم الذين عهد اليها حمايتهم فلا تعترضها ولا تحاول الوقوف في وجهها ، واخذت تعتمد على الحكومة المحلية فخلقت في مراكش شيئًا جديداً ودولة جديدة ، وقد تمكنت بالاقناع واللين من السيطرة على المغرب بدلا من استعمال عساكر السلطان لتوطيد الحالة بالقوة والسيف ، وقد تم لها ذلك كله الا قليلا منه قبيل الحرب العامة ، ثم تمكنت من نشر السلام على ربوع المغرب بعد الحرب الريفية ، فجعلته هادئًا ناعمًا ، مدت فيه السكك الحديدية وانشأت لمرافئه الموانيء الحديثة ، واكثرت من مدارسه، ومستشفياته ومزارعه ، وقد كان لهذه الخطة فوائد عظيمة في توثيق عرى التآلف بين امتين تختلفان في العادات والطباع والدين واللغة ، حتى ان ابناء هذه البلاد تقدموا بمعونتهم العسكرية الى فرنسا ابان الحرب، وفي حرب الريف ايضا

اما الطريقة الاسبانية فقد كان من نتائجها ما نزل بالجيش الاسباني من مصائب في (انوال) و (جبل اراويت) و(شيشوان) وهي وان لم تخلق عبد الكريم الا انها زادت شأنه قوة وامره

استفحالا ، وسنرى باعترافات عبد الكريم نفسه ، ان هذه الطريقة التي اتبعها الاسبانيون في سياستهم الريفية كادت تحدث تأثيراً عظيما عند المسلمين عامة وتجعلهم يعتقدون انها طريقة عامة في اوروبا ، وان كل الدول الاوربية تحاول الترويج لها في مستعمراتها الاسلامية ...



- ٤ -

لما حاربنا عبد الكريم لم يكن موقفنا منه موقف دولة تحارب جماعة مستقلة ، وانما كنا نحارب رجلاً ثائراً من الحكومة فمع ثورته واخماد فتنته

وعبد الكريم رجل مغربي عليه مسحة من الاوربية ، تلقى دروسه الاولية في مليلا ، خبير بالشؤون المالية كشقيقه محمد الذي تخرج من كليتي (مالاجا) «ومدريد» وهو مهندس بارع ، عظيم الكفاءة والمقدرة وقد اظهر الاثنان انهما خبيران بشؤون السياسة وليس من الحق ان ينسب اليهما التوحش في الحرب التي اثاراها ، ذلك ان حجتهما في ما نسب اليهما من اعمال مدة الحرب الريفية هي ان الاسبان قد سبقوهما في هذا المضمار وانهما لم يفعلا ذلك الا بدافع الدفاع عن النفس ومقابلة الخصم بمثل عمله ، وانهما لما اخذت الحرب شكلا رسميا ، امرا بعض القبائل التي كانت لا ترى في الحرب غير اداة للسلب والنهب بالتراجع الى ما وراء خط القتال ، ووضعا مكانها جنداً يفهم الروحية الحربية ، ويعلم ان الحرب غير قتل الاسرى ، وحرق المدن ، وغير ذلك مما نسب الى عبد الكريم ورجاله في المعارك الاولى بينه وبين الاسبان

ولقد كان مركز عبد الكريم في الريف خطيراً قوياً ، وكانت عائلته لقرون خلت تحكم الريف وتسيطر على مقدرات قبائله ومصاير سياسته بشيء كثير من القوة والزعامة ، ولما اساء الاسبانيون معاملة بعض افراد عائلته ، غضب الريف غضبة رجل واحد لهذا العمل ، واخذ يفكر في الانتقام من الذين اساءوا لافراد هذه العائلة الكبيرة الشرف ، العظيمة الشأن الرفيعة المقام.

ولما استقام لعبد الكريم امر التفكير باستقلال الريف ، رأى من تأييد القبائل الريفية له ، ومن تقبلها للفكرة ، وتضحيتها في سبيلها ، وتهافتها للمسير معه الى ما يدعوهم اليه من رد الفاتح الاسباني ، الذي كانت تشتعل قلوبهم حقداً عليه وكرهاً له ، ما أَعجبه وأَدهشه.

ولكن كيف اشتعلت الثورة على حدود مراكش الافرنسية؟ وهل نشأت بغير ما سبب منا ، ام كنا نحن المسببين لاشتعالها واستطارتها ؟ وهل كان بامكاننا التوفيق بين موقفنا وما عرضه عبد الكريم علينا من اتفاقات ؟ وبكلمة مختصرة هل قمنا بكل واجبنا في منع الحرب ؟!

هذه مسائل ما تزال موضع البحث والاخذ والرد في تاريخ افريقيا الحديثة.

ان الوثائق التي سننشرها في هذا الكتاب تؤيد بصراحة لا

تقبل الشك أن عبد الكريم قد سعى بكل اخلاص بان لا يشتبك بحرب معنا ، ولكن بعضهم لم يؤمن باخلاصه واقواله ، وكذلك الظروف لم تساعده كل المساعدة فكان ما كان .

ولا بد من بحث الموقف الحرج الذي انتظم امامنا امراً واقعاً في ابان الحركات الاولى ، فقد كانت تربطنا مع سلطان مراكش معاهدة ، وكان في حركات عبد الكريم ومغامراته ما يعد افتئاتاً على حقوق السلطان وملكه في المغرب ، كما ان الاتفاقات المعقودة بيننا وبين الاسبانيين كانت تمنعنا من مساعدة خصوم اصدقائنا

ولو كان المغرب كله تحت السيطرة الافرنسية لكان لنا موقفاً آخر ، ولم نعجز عن التوفيق بين مطالب عبد الكريم وحقوق السلطان ، وضروريات السلام والامان في هذه المنطقة ، ولكن الريف لم يكن خاضعاً لحمايتنا ، فكان من اثر ذلك ما يعرفه القراء وما اسفنا له كل الاسف

والظاهر ان عبد الكريم نفسه كان يشاطرنا هذا الاسف ، لانه لما قام بثورته الاولى على الاسبانيين سنة ١٩٢١ لاسباب اسماها الاسبان ادارية خاصة ، مع ان اغراضها كانت اسمى واكثر خطورة ، راح يكتب الى جمعية الامم يطلب منها ان ترفع الانتداب الاسباني عن الريف وتعهد به الى دولة اوربية ثانية اكثر تساهلاً

واشد حرصاً على المحافظة على تقاليد سكان الريف ونزعاتهم الدينية والاجتماعية وغير ذلك ، وعبد الكريم سياسي حاذق كما اشرنا ، لذلك رأيناه في عريضته هذه يقول : «ان الحقوق التاريخية المكتسبة التي يدعيها الاسبان في الريف لا تتفق ورغبة ابناء البلاد في عدم الرضى بحكمهم ، فاذا كان يصح ان ينظر الى الامر الاول بعين الاهتمام ، فان النظر الى الثاني لا يجب ان يقل عنه اهمية وخطورة ، ولكن هذه العريضة لم يكن لها شأن ، ونامت على ما يظهر في سجلات جمعية الامم.

ولما كنا نحن مقيدين بتعهداتنا ومعاهداتنا ، فقد راح عبد الكريم يحارب الاسبان الذين كان يريد اخراجهم من الريف واجلائهم عنه ، وبعد انتصاراته العظيمة في (انوال)وجبل اراويت كان مصير كل اتفاق يتقدم به الاسبان اليه الفشل حتماً

ثم اخذ عبد الكريم يعزز مركزه ، ويضم اليه مسالحه وقبائله وقد تمكن في سنتي ١٩٢٤ و٢٥ من الانتصار على الاسبانيين ايضاً ، وهذه الانتصارات وان كانت على جانب من الخطورة فيما يختص بالاسبانيين الا انها اخذت تعرض مصالح فرنسا في المغرب وغير المغرب الى الخطر ، وذلك انها اخذت تجمع حول عبد الكريم كل القبائل التي كانت تسكن على الحدود الافرنسية الاسبانية ، وكذلك القبائل الثائرة التي كنا قد تركنا امر توطيد مركزنا بينها لما

يتطلبه هذا الامر من جهود ومشقات وجند ·

وفي شهر كانون الاول من سنة ١٩٢٤، اشار المارشال ليوتي الى احتمال وقوع هجوم من الريفيين على المراكز الفرنسوية في الربيع المقبل · ولكن الاوراق التي نشرتها في هذا الكتاب بعد الانتهاء من اعترافات عبد الكريم والتي اخذت من بين الاوراق والوثائق التي عثر عليها في معسكر عبد الكريم نفسه ، والتي توجد نسخة ثانية منها بايدي رجال الشأن الافرنسيين — وقد بعث عبد الكريم بها اليهم — تثبت ان عبد الكريم قد عرض علينا صداقته واخلاصه غير مرة ، وقد تبسط في رغبته هذه امام مندوبي الصحف الاجنبية في مختلف الاوقات والأحايين ، وكان يعيد هذا ويكرره ما كان الى اعادته وتكريره سبيل

وكان جل ما يرغبه ان يعيش وايانا على وفاق وسلام دائمين ، وان لا يعرض لمراكش الواقعة تحت حمايتنا بخير ولا شر

وهو امر يشكر عليه اذا ذكرنا ان بعض اصدقائنا عرضوا عليه غير مرة ان يقتحم مراكزنا ، وان ينقل جنوده من حدود الاسبان الى حدودنا ، وقد رفض عبد الكريم ان يفعل ذلك برغم ما بذل له في هذه السبيل من مال وذخائر ·

وهذه الصداقة التي اراد عبد الكريم ان تكون قائمة بيننا وبينه ، والتي راح شقيقه يؤكدها لي لما تخطيت خطوط النار الى

معسكره سنة (١٩٢٥) يسرني ان اشير اليها في هذا الكتاب ، وان اؤ من بها كل الايمان ، وان اعتقد انها كانت صداقة لا تشوبها شائبة ، ولا تتخللها اغراض ولا اهواء

والواقع ان هذه الصداقة لم يتقبلها رجالنا العسكريون بقبول حسن ، ولا فكروا بالاجابة على تحارير عبد الكريم التي ارسلت لهم ، واغرقوا في الحذر فراحوا يحشدون الجيوش على حدود الريف ، فكان كل هذا سبباً – كما يقول عبد الكريم – في العداوة التي وقعت بيننا وبينه والتي اتصلت منها الى الحرب التي كانت نتائجها ما يعرفه العالم باسره ·

وسيجد القاريء في هذه الصفحات سطوراً رائعة في وصف التضحية الافرنسية في الحرب الريفية ، وهي صفحات تعد من اروع الحوادث واجلها في تاريخ الحروب الاستعمارية ، وستقول هذه الصفحات – التي تؤيدها الوقائع والمستندات التاريخية – اذا لم يكن تقصير بعض رجال السياسة امراً منظوراً ، وقد كان بطوقهم ان يدرأوا كثيراً من المخاطر والحروب لو توفرت عندهم الرغبة في حب السلام والعمل له ، والسعي اليه ·

اما الجيش فقد قام بواجبه كل القيام ، واما الذين يرغبون في السلم من السياسيين والعسكريين فقد جاءوا متأخرين ، بعد ان تم انتصار الجيش وتمت له الغلبة

— ٥ —

ولقد كان من الصعب على اركان حرب الجيش الافرنسي في اول الحرب الريفية ان يقوموا بعمل جدي لتثبيت المراكز الافرنسية وتقويتها ، بعد الانهزام الاسباني الذي اوجد في الحدود ثغرة لم يكن من السهل املاؤها وتلافيها ، وقد اشرنا الى مضار هذا التقسيم الاسباني الافرنسي للمغرب ، وكيف انه كان مغموراً بالخطأ مليئاً بالنقص

ومما يجدر ذكره انه بعد الانهزام الاسباني الذي ترك الحدود مفتوحة للغزاة من رجال القبائل وغيرهم ، كانت الحكومة الافرنسية قد عمدت الى سياسة اقتصادية انقصت معها الجيش المحافظ في مراكش من (٩٥٠٠٠) جندي وهو العدد الذي كان سنة ١٩٢١ ، الى (٦٤٠٠٠) بينهم (٢٠٠٠٠) من الافرنسيين فقط ، فلم يكن بطوق القيادة العامة والحالة هذه ، ان تملأ هذه الثغرة المفتوحة بكمية كافية من الجنود ، خصوصاً وانه كان لديها مناطق غير هذه المناطق للمحافظة عليها والاهتمام بشأنها

وكان عبد الكريم في هذه الفترة وعلى اثر انتصاراته على الاسبان قد اطمأن بعض الاطمئنان من ناحيتهم فراح — خصوصاً

بعد ما رآه من اغفال القيادة الافرنسية لتحاريره ، وما تقدم به اليها من الوان الاخلاص والصداقة — يهتم بحدود الريف من الجهة الافرنسية فانصرف الى تقوية جبهته من هذه الناحية وفي شمالي (تازا) و (فاس) واخذ بعض رجاله يلهبون نفوس القبائل الصديقة بالثورة علينا ومهاجمتنا والعمل يداً واحدة مع جند عبد الكريم ورجاله ، وهذه امور وصل خبرها الى القيادة العامة الافرنسية من مصادر موثوقة فلا سبيل الى انكارها والطعن في صحتها

ولكن موقف القيادة لم يكن يساعد في ذلك الوقت لاسياسياً ولا عسكرياً على القيام باي عمل حربي ، وجل ما كان في وسعها هو التأهب لما قد يحدث حتى لا تؤخذ على غرة

ولكي يكون بطوق القيادة الافرنسية ان تكون على قدم الاهبة والاستعداد، راحت تطلب الامداد من العاصمة ، فامدتها هذه بما طلبته من الجند والمال والذخائر والطيارات وغير ذلك ليكون بميسورها ان تسيطر على الموقف في الساعة الملائمة

والخلاصة ان الموقف في ذلك الوقت كان موقف انتظار واستعداد للحوادث التي كان الجميع على مثل اليقين من انها واقعة حتماً ...

ولو نظرنا الى امتداد الجبهة الافرنسية في هذا العهد — ١٩٢٤ — لرأينا ان المراكز الحربية المتفرقة في اطرافها لم تكن مراكز هجوم

وانما كانت مخافر دفاع وانتظار فحسب ، وقد امتدت هذه المراكز التي بلغ عددها ثلاثين مخفراً من الشرق الى الغرب وقام بعضها على ضفاف نهر (اورغا) وغيره من الانهر التي تفصل بين الريف ومراكش ، وكان في بعض هذه المراكز مدفع واحد واما الاتصال بينها فقد كان مضطرباً غير مستقر ، وكانت في حالتها هذه اقرب الى مراكز الحرس منها الى المراكز الحربية . واذا اضفنا الى ذلك قلة الماء فيها واضطرار القيادة العسكرية حين تحاصر احدى هذه المراكز لارسال الماء اليها بالطيارات رأينا ان مركزها كان في كثير من الاحايين محفوفاً بالمخاطر كثير الاضطراب ، هذا الى انه كان بامكان العدو الجريء ان يحاصرها وان يصبح دون مرمى المدفع القائم فيها والذي كان قليل الفائدة اذا راح العدو يطوقها من جميع جهاتها

فهذه الامور كلها تفسر كيف كانت تضطر هذه المراكز للتسليم في اول الحرب الواحد بعد الاخر حين تحاصر من جميع الجهات ويأخذ العدو بامطارها ناراً من مدافعه ومتراليوزه

وهذا الضعف نفسه في هذه المخافر يدل على انها لم تكن مراكز هجوم وانما كانت مراكز دفاع فقط وهي ما نريد الاشارة اليه والبرهان عليه

اذن فما الذي اشعل النار وقذف البلاد في حرب عوان ؟

لا يجب علينا ان نكذب الامير عبد الكريم حين يقول لنا في هذا الكتاب ، اننا نحن الذين دفعناه الى الحرب حين تجاهلنا ما عرضه علينا من صداقة وانفاق ...

ولكن علينا ان نتسائل فيما اذا كانت هذه المراكز الضعيفة سبباً كافيا يدفع عبد الكريم الى مهاجمتها في ٩ نيسان ١٩٢٥ ؟؟

يقول عبد الكريم :

« ان الافرنسيين راحوا يعملون ما يتناقض مع سياسته ومصالحه كل التناقض لما تقدموا بنصيحة (الشريف در كولي) وبعض رجال بني زروال سنة ١٩٢٤ الى جهات الزاوية ، وتمكنوا بذلك من تقديم مراكزهم في شمالي هذه المنطقة !!



— ٦ —

وهذا العذر يتطلب منا الوقوف قليلاً وان نتناوله بالبحث والتحقيق ·

ونحن ابعد من ان نجامل عبد الكريم او نعتذر له ، ولكننا نقول ان في الاختلاف الافرنسي الريفي وجهتان ، اولاهما ما نعتقده من ان السعي الجدي لتلافي الحرب كان ضعيفاً فاتراً ، وثانيتهما ما نؤمن به من ان الرغبة الملحة التي اظهرها بعضهم في سبيل السلام والاتفاق كانت ظاهرة قوية

ولقد كنا في شهر مايس (١٩٢٤) على مفرق الطرق وكنا في الواقع في الفترة التي كان يجب ان تبذل فيها الجهود لتلافي الحرب والعمل لاستتباب السلام ·

ولنذكر ان بني زروال الذين كانوا من خصومنا ، اصبحوا في هذه الفترة من اصدقائنا · ولكن الدعاة الاسبانيين كانوا يتجولون سنة ١٩٢١ و١٩٢٣ بينهم فكان عبد الكريم يخشى والحالة هذه ان يعود هؤلاء الى مساعدة الاسبانيين والانضمام اليهم كما كان يخشى ايضاً اتفاقهم معنا ومساعدتهم لنا · كما انه كان يرى ان في ترك بعض المراكز لنا ، او في السكوت عن تقدمنا بعض التأثير على مركزه

ونفوذه بين قبائله ·

ولقد ارسل لنا عبد الكريم رجلاً من قبله للتحدث الينا بهذا الشأن وهو السيد علي بن حدو بن علي ، وبعث معه بكتاب مؤرخ في ٢٥ رمضان (١٣٤٢) يقول فيه انه موفد رسمي من قبله ·

وتحدث رسول عبد الكريم في فاس وفي العاشر من شهر مايس سنة ١٩٢٤ الى القومندان شاستنات قائلا :

« ان عبد الكريم لا يرى كبير امر في تقدمنا في وادي (اورغا) ولكنه يطلب مهلة يستطيع معها افهام القبائل المناصرة له بان هذا التقدم ليس عملا عدائياً من فرنسا ضده

وقد قال السيد (حدو) ما نصه بالحرف الواحد :

«واذا ما اردتم منا اخلاء بعض المراكز ، فعليكم ان تتركوا لنا بعض الوقت لاقناع القبائل وترويض ذهنيتها لقبول هذا الامر لان تراجعنا دون ما سابق انذار امر من شأنه ان يضر بسياسة عبد الكريم ، في بلاد الريف ·

وقال « اتركوا لعبد الكريم الوقت اللازم للتفاهم مع القبائل لكي لا يكون عملكم مضراً بسمعته واسمه »

فكان جواب الافرنسيين له :

« اننا لا نفكر بهذا التقدم بسرعة »

وعاد رسول عبد الكريم السيد حدو يحمل هذا الجواب الى

عاصمة زعيم الريف (اجدير)

ولما رجع الى فاس في ٣١ مايس (١٩٢٤) قال في حديث له مع بعض الرجال الافرنسيين المسؤولين :

ان عبد الكريم يحفظ لنا في قلبه كل اخلاص ، وانه يعرف حقوق فرنسا في المغرب ويعترف بها .

ثم زاد على ذلك قائلا :

« ان المساعدة التي نقدمها الى بني زروال تضر بسمعته كل الضرر ، وانه يرجونا تأجيل تقدمنا في جهات (اورغا) مدة ايضاً»

فكان جواب القيادة الافرنسية على ذلك :

« ان التقدم الى جهات اورغا اصبح امراً واقعاً ، وانه كان على عبد الكريم ان يتقدم بهذه الرغبة قبل هذا العهد »

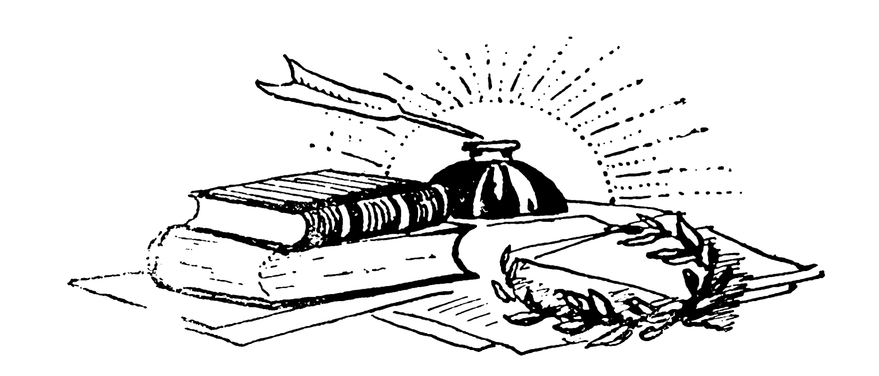
والواقع ان الموقف اصبح حرجاً ..

ذلك ان كل المحادثات التي وقعت بين مندوبي عبد الكريم وبيننا لم تجد نفعاً ، واصبح على عبد الكريم لكي يحافظ على مركزه وسمعته ان يحاربنا ويرد مراكزنا الامامية الى ما وراء الخطوط التي تقدمت منها

وفي ٩ نيسان (١٩٢٥) تقدم السي محمد عبد الكريم شقيق عبد الكريم على رأس رجاله نحو بني زروال ، وفي ايام قليلة تمكن من اقتحام مركز بني دركول ، واسترجع الزاوية التي كانت بعض

الفرق الافرنسية قد تقدمت اليها ، كما انه احتل كل بلاد بني زروال واضطر الشريف در كوني للالتجاء الى فاس

وبذلك اشتعلت النار ، وراحت تشتعل بقوة وشدة عظيمتين . .



- ٧ -

تمكن الجنرال شامبرون بمساعدة الجنرال هوش من المحافظة على فاس ، مع قلة رجاله واضطراب الاسباب حوله ، وسنأتي في غير مكان من هذا الكتاب على وصف التضحية التي قام بها هؤلاء القواد في اوائل الحرب الريفية الافرنسية ·

واما الحالة في هذا الوقت فكانت مضطربة كل الاضطراب راحت فيها بعض القبائل يحارب بعضها بعضاً · وكان الارتباك امراً واقعاً عند الريفيين ايضاً ، فان بعض القبائل التي يسيطر عليها عبد الكريم ، كانت لا تساير خططه الحربية ، بالدقة التي كان يطلبها منها ، بل كانت في كثير من الأحايين تتجاوزها ، وهو امر له خطورته في المعارك العسكرية ومصايرها ·

وكان لا بد لتهدئة هذه القبائل ومنعها من تأييد عبد الكريم من ارسال الجند يقيم بينها ، وكانت هذه الفكرة سيئة النتائج لان فرقة كومب التي كانت في شمالي (كلادي سلس) وفي جهات اورغا حوصرت مدة ثلاثة ايام ، ولم نتمكن من تخليصها الا بعد معركة قوية شديدة ، ولذلك رأت القيادة العامة الافرنسية الاقلاع عن هذه الخطة ، لان مراكزنا كما قدمنا كانت متفرقة لا ارتباط

بينها ، وليس بطوق الحامية التي تعتصم فيها وتحافظ عليها ان تمنع تسلل الريفيين اليها ومحاصرتها وقطع خط الرجعة على افرادها

ولقد رأى الجنرال شامبرون لكي يدرأ هذه المخاطر ان يقسم جنوده في الشمال الى اقسام ثلاثة واحد في (كالادي ساس) بقيادة الكولونل (كوني) ، وآخر في عين عيشة بقيادة الكولونل دوراند ، وثالث في دار السيد مدبوح بقيادة الكولونل كامباي

وفي ٢٣ نيسان ونظراً للشوائع العظيمة التي كانت تملأ بلدة فاس ، رأى الجنرال شامبرون ان يجمع القوة التي كانت تحت قيادته في شمالي فاس وحوالى تازا ويقسمها الى قسمين ، قسم شرقي بقيادة الكولونل نوجو ، وغربي بقيادة الكولونل كامباي ، ونظراً لاهمية القوة الموجودة في الشرق فقد عهد بقيادتها الى الجنرال كولومبات ، وكان على هذه القوة ان تحارب الريفيين كل يوم وفي الليل والنهار كي تتمكن من ارسال الاعاشة اللازمة الى المراكز المحاصرة

ولكن الهجوم على هذه المراكز اخذ يشتد اشتداداً محسوساً في ٣٠ نيسان ، وتمكن الريفيون من التسلل الى ما وراء عين عيشة ، مما اضطر القيادة الى ارسال قوة ثالثة تقيم في هذه الجهة بقيادة الكولونل فريدنبرغ

وفي ٣ مايس توفق هذا الكولونل على رأس قوته بالوصول

الى اعالي (طوانت) وتمكن من رد قوة ريفية مؤلفة من اربعة الاف مقاتل، وارسال الاعاشة اللازمة الى باب اوندر ، ومعطوف ومديونه وغيرها من المراكز المحاصرة ، كما ان الطيارات الحربية كانت تقوم بالعجائب في هذه الفترة

ولكن البقاء على هذا الحال كان صعباً كثير المشقة ، عظيم التضحية ، لان اعاشة هذه المراكز كان يكلفنا ضحايا كثيرة ، فاضطرت القيادة والحالة هذه الى ترك بعضها والاكتفاء بالأقل منها ، كطوانت وتافران ، التي كانت تحافظ على طريق القبيلتين العظيمتين (جرايا) و (هيانا)

وفي ٢٥ مايس تسلم الجنرال دوجان قيادة الجبهة الشمالية ،ومع ضعف القوة التي كانت معه استطاع القيام باعمال مشكورة في الشرق والغرب على طول الجبهة ، وكان عبد الكريم يهاجم جناحينا ولكن هجومه على الجناح الشرقي كان عبارة عن مظاهرة فقط وهذا يدل على انه لم يكن يرغب ان يفتح لرجاله طريقاً في هذه الجهة ، وانه كان لا يريد مهاجمة جنودنا مهاجمة فعلية في هذه المنطقة ،لان غرضه كان التقدم نحو تازا ، وقطع طريق المواصلات بيننا وبين مراكش والجزائر لكي يمنع وصول النجدات الى جنودنا من هذا الطريق ثم التقدم نحو فاس واحتلالها والتحكم بما حولها من المدن حتى اميليا

وكان موقفنا في هذه الجهة صعباً مضطرباً ، وقد فكر الكولونل كامباي في ترك تازا ، ولكن المارشال ليوتي ابى قبول هذه الفكرة والتخلي عن هذه البلدة

ولكن انقلاب القبائل علينا كان امراً متواصلاً ، وسقطت في هذه الاثناء بعض مراكزنا بايدي عبد الكريم ، وسدت في وجهنا (باب مزوج)

وفي اوائل شهر تموز (١٩٢٥) كان الخطر يهدد مصير مراكش الافرنسية . وكان الموقف الحربي خطراً للغاية

فما هو مصير تازا وفاس؟

اما في باريس فكان التشاؤم قد بلغ نهايته . وفي هذا الوقت طلبت من جريدة (الماتان) ان تسمح لي بالذهاب الى مراكش .



-٨-

لم يكن المغرب بلداً جديداً عندي ، فقد سبق لي وزرته سنة ١٩٠٧ كمخبر عسكري لاحدى صحف باريس ، لما كانت الجنود الفرنسوية تعمل على اخضاع بعض القبائل الثائرة

واما اليوم فقد كان غرضي ينحصر في معرفة احوال المغرب وكيف تضطرب الحرب فيه وتنتظم المعارك في ساحاته وبين ودياته وجباله ، ومواضع هذه المعارك ومواطنها ليكون بالامكان وضع حد لهذه الشوائع والاخبار التي كانت تملأ صحف باريس على اختلاف احزابها ، والتي تسللت الى مجلس النواب نفسه فاصبحت حديث احزابه ومختلف شيعه

وكان علي ان ابحث ايضاً فيما اذا لم تكن اسباب الحرب خطأ ارتكبناه نحن فدفعنا عبد الكريم الى محاربتنا واقتحام مراكزنا

ثم اذا كانت الحرب قد حدثت فجأة ودون ما سابق انذار ، فهل كانت القوة الفرنسوية قوية بالقدر الذي تستطيع معه الوقوف امام العدو ، ام ان هناك نقصاً في معداتها وعدد افرادها وجندها ، واذا كان الامر كذلك فمن هو المسؤول من القواد الافرنسيين امام فرنسا والتاريخ عن هذا النقص وعن عدم اتخاذ الاهبة والاستعداد للأمر قبل وقوعه؟

وكان علي ان ابحث موقف الاسبان في مراكش والاسباب التي دعت الى انكسارهم وتراجعهم ، وهل الضرورة تقضي بتوحيد الخطط الحربية الفرنسوية والاسبانية ، وكيف تعرضت مراكزنا للخطر بتراجع الاسبان » وكيف لم يوفق هؤلاء في سياستهم الريفية وبلاد المغرب ، وكيف انهم لم يتفهموا العقلية الاسلامية والذهنية المغربية ؟

وكان يدور في خلدي ايضاً ان اعمل للاجتماع بعبد الكريم نفسه وان اسأله عن معنى هذه الصداقة التي يحفظها لفرنسا ، والتي كان يرفع فيها صوته عالياً في مختلف الاحايين ، وما الذي دفعه بعد ذلك الى الانقلاب علينا ومهاجمة مراكزنا ؟

وكنت افكر في سؤاله ايضاً عن السبب الذي حمله على رفض الدعوة للسلام التي دعاه اليها الفرنسيون والاسبان ؟

ولم اكن انكر ما يعتور خطتي هذه وعزمي هذا من خطر ومغامرات ، فان ذهاب مثلي الى خطوط النار والتنقل من مكان الى آخر بين الثوار ، لم يكن من السهولة بالقدر الذي يظن البعض خصوصاً في مثل تلك الاوقات العصيبة ، التي كان فيها الرصاص والمترليوز والقنابل تندفع من جبهة كل فريق نحو جبهة الفريق الاخر بكرم وسخاء زائدين . واذا اضفت على ذلك صفتي الافرنسية والصحافية وهي شيء لم يكن من الامور المسموح بادخالها الى

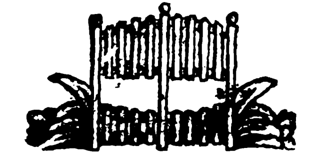
الريف الثائر في ذلك الحين ادرك القاريء صعوبة هذه المغامرة وما فيها من مخاطر .

ولكنها كانت مخاطرة تستهوي القلب وتدفع الانسان الى التضحية في هذه السبيل ، وهو ان وفق فيها تمكن من وضع حد لهذه الشوائع التي كانت تملأ العالم في ذلك الوقت ، والتي كان يحاول من ورائها بعض ذوي الغايات الترويج بان فرنسا هي التي اثارت هذه الحرب الريفية بقصد الفتح والطمع والاستيلاء على بعض البلاد .

والذين يذكرون الحديث الذي ادلى به الي شقيق عبد الكريم يجدون تأييداً له في هذه الصفحات المقبلة ، وقد كان عبد الكريم لما تمكنت من الوصول اليه والتحدث معه يعيد هذا الحديث ويكرره ويعيده ، ويؤيده بما لديه من اوراق ومستندات واما خلاصة هذا الحديث فهو ما يأتي :

« لقد قمت بالمستحيل في سبيل التفاهم مع فرنسا ولكن الافرنسيين لم يثقوا بي ولم يتقبلوا صداقتي بقبول حسن ، مع ان اخلاصي كان صادقاً يؤيده رفضي للمال الذي كان يعرض علي من بعض الجهات الاسبانية للزحف على الافرنسيين ومحاربتهم ، والواقع ان تقدم الافرنسيين السريع الى المناطق التي رجوتهم ان يتريثوا زمناً في التقدم اليها قد اثار حنق بعض القبائل الريفية ، ولكي احافظ على

سمعتي ومركزي ، ولكي لا تضطرب الحالة الروحية في نفوس القبائل الريفية فيتمزق شملها وتختلف القبائل فيما بينها اضطررت الى صد الفرق الافرنسية التي تقدمت الى الامام . واني مضطر اليوم الى المقاومة حتى النهاية ، وما بقي في عرق ينبض ، الا ان يتفق الاسبان والفرنسيون على الاعتراف باستقلال الريف »



= ٩ =

لم يكن موقف الجنود الفرنسوية في شهر تموز سنة ١٩٢٥ بعد هجوم عبد الكريم على مراكزهم حسناً ولا قوياً ، وكان الضغط الريفي يهدد هذه الجنود بخطر داهم وشر مستطير

وبرغم ما كان يطلبه قواد الجيش من الامداد في الذخائر والجنود فان عدد القوى الافرنسية كان قليلاً بحيث لم يكن باستطاعتها المقاومة ، بل كان يفكر قوادها احياناً بالانسحاب والتراجع ، محافظة على سلامة جنودهم وطريق مواصلاتهم

ولم يكن القواد في هذه الفترة بحاجة الى ثمانية عشر فرقة للوقوف في وجه الخصم في مختلف الجبهات بل كانوا بحاجة الى عشرين فرقة لكل جبهة ، وهذا يعني ان العدد المطلوب كان تسعين فرقة لصد الريفيين ومهاجمتهم والوقوف في طريق تقدمهم

ومن الحق ان نذكر بالفخر موقف هذا العدد القليل من الجند امام هجوم عبد الكريم ، وكيف كانوا يظهرون الواناً من التضحية تسجل لهم بالفخر والتقدير ، فقد كانوا يحاربون طيلة اشهر ثلاثة عدواً قوياً جريئاً ، وهم لا يعرفون النوم ليلاً ولا نهاراً .

ولكي تتمكن هذه القوة من صد الريفيين ومنعهم من اقتحام فاس في شهر تموز (١٩٢٥) ، هذه القوة التي اضناها التعب وانهكها النصب ، راحت تعمل المستحيل لصد الغزاة ففقدت في هذا السبيل (٥،٧٢٣) رجلاً منهم (١٠٠٦) قتيلاً و ٣٧١١ جريحاً ، و١٠٠٧ لم يعثر لهم على اثر

وبالوقوف في وجه الريفيين في طريق (تازا) وعدم اخلائها نجت مراكش الفرنسوية من خطر عظيم ما يدري احد عواقبه ولا مصايره

واذا كان في فرنسا (فردون) لا مثيل لها في العالم في حب التضحية والجرأة والشجاعة ، فان في مراكش مثلها ، وليس ما اظهرته القوة الفرنسوية دفاعاً عن (تازا) الا صورة مصغرة عما اظهره الجند الافرنسي في الحرب العامة دفاعاً عن فردون امام الهجوم الالماني العظيم

وفي اواسط شهر تموز تمكنت القوة الافرنسية من رد الريفيين وسلمت بذلك (تازا) وفاس من الغزو والاحتلال ٠

وعند ذلك صار تبديل في القيادة فعهد الى الجنرال نولان بقيادة الجند الافرنسي في هذه المنطقة

واضطر هذا طبعاً الى تعزيز مراكزه ، وتقوية جنده وترتيب شؤونه العسكرية قبل ان يقوم بعمل عسكري يذكر ، وهذا

التأخير ، وان كان مؤسفاً الا انه كان ضرورياً جداً ، لان العبقرية والجرأة والتضحية لا تكفي ليكون النصر والنجاح امراً واقعاً ، بل لا بد له من النظام والترتيب والدقة في تصريف الامور واختيار الحوادث

ومضى شهر آب وليس فيه ما يستحق الذكر ، الا تقدم طفيف في بعض الجهات ، ورد بعض الفرق الريفية عن بعض المخافر

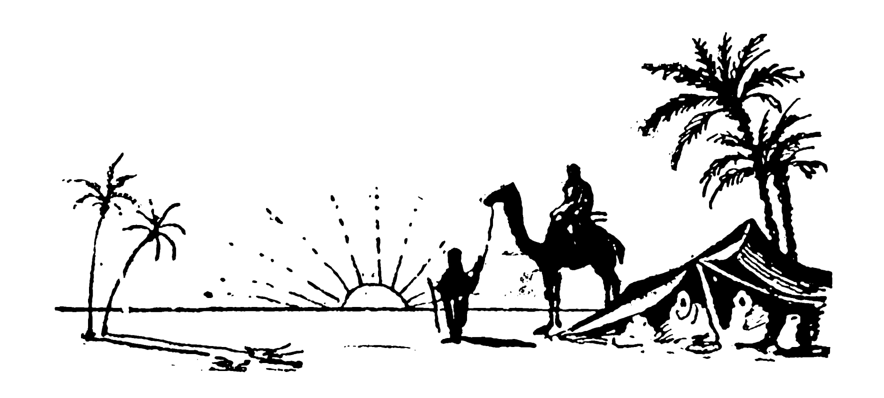
واذا اضفنا الى ذلك تمكن الجنود الفرنسوية من استرجاع المناطق التي تسكنها قبائل (تسول) (والبرانس) وهي القبائل التي لحقت بعبد الكريم في اول الحوادث واخذت تحارب معه وعودة هذه القبائل الى الطاعة والسلام ، كانت الحركات العسكرية في شهر آب ، وان كانت قليلة الحوادث الا انها خطيرة الاثر سياسياً وعسكرياً ، فقد كان في عودة هذه القبائل الى حظيرة الطاعة ما يشبه الانذار لغيرها بان لا تحرك ساكناً وان تستكين الى حالتها الراهنة

ومن الحق ان نذكر ايضاً بالفخر للفرقة التاسعة عشر تمكنها من المحافظة على طريق الجزائر ، خصوصا موقف رجال الجنرال كومباي الذين تمكنوا من رد العدو بعد معارك عظيمة

ولكن كل هذه الانتصارات الصغيرة لم تبدل الموقف السياسي

العسكري العام الذي ظل خطيراً ، والذي ظل معه عبد الكريم يسيطر على كل المناطق الريفية تقريباً ، والذي كان بطوقه ان يهاجمنا ساعة اراد وشاء ٠

وعندئذ تحركت باريس ، وعرفت انه ليس بالامكان تجاهل الامر الواقع ، وان الضرورة تقضي بوضع حد لكل هذه الحوادث فقررت ارسال المارشال بتان قائداً عاماً للجيش الفرنسوي في مراكش ، وامدته بعدد غير قليل من الجند والذخائر ٠



= ١٠ =

وفي اواخر شهر آب (١٩٢٥) كان لدى المارشال بتان قوة كبيرة تقرب من ثمانين الف جندي عدا فرق الفرسان وجند المدفعية وغيرهم مما كان يزيد عدده عن مئة الف مقاتل

وكان امام القيادة العليا في شهر ايلول خطتان ، وقد راح الجنرال نولان يؤيد الخطة الاولى وصاحبها المارشال ليوتي ، وكانت ترمي الى التقدم في جهات اورغا ، واسترجاع المراكز العسكرية والوصول الى مواطن قبيلة بني زروال ، حتى الحدود التي تفصل بين الريف والمناطق الافرنسية

واما المارشال بتان فقد كان يرى غير ذلك ، ويفضل عليها خطة يحمل بها العدو على التراجع والتسليم ، ولذلك كان يريد مهاجمة المناطق الواقعة شمالي كيفان ، حتى يصل الى مراكز الجيش الاسباني القادم من مليلا

والواقع انه كانت هناك خطة ثالثة لم يتكلموا عنها الا قليلاً مع انها كانت حسنة موفقة ، وهي طريقة كان يحلم بتحقيقها الضباط الافرنسيون القدماء الذين كانوا يعرفون طبيعة الارض ومفاوز الجبال وهي تتلخص في مهاجمة الريفيين في جميع المواطن شمالا

وشرقاً وغرباً في حرب اقرب ما تكون الى حرب العصابات ،ولما كان الريفيون لا ينعمون بجيش كثير العدد فان حرباً كهذه تتعبهم وتنهك قواهم حتى اذا جاء اجل الزحف الكبير عليهم لم يستطيعوا امامه وقوفاً ولا لهجومه دفعاً .

ولكن القيادة العامة في هذه الفترة راحت تعمل على تنفيذ خطتي المارشال بتان والجنرال نولان معاً ، الاولى في طريق كيفان والثانية حوالي تافران وتوانت

وبواسطة الخطة الثانية تمكنت جنودنا من الوصول الى بيبان وجبل مسعود ،وصار بامكانها استرجاع اكثر المراكز التي اشرنا اليها في اول هذا التمهيد .

واما القوة التي اتجهت نحو كيفان فقد احتلت (جبل نادور) وتمكنت من الاتصال بالقوة الاسبانية التي كانت تتقدم من (ازيب ميدار) ثم تقدمت نحو (سي بور كيه) وبعد ايام الى (سي بوجلان)

والواقع ان عبد الكريم في هذه الفترة = تشرين الاول ١٩٢٥ = اصبح محاصراً من جميع الجهات

ولكن هل كان هذا آخر سهم في كنانته ؟

كلا ، لان الاسبانيين في المعارك الاخيرة فقدوا كثيراً من قوتهم الحربية ، وضعفت معنويات جندهم على اثر انتصارات عبد

الكريم عليهم ، ومع انهم كانوا يقومون احياناً باعمال عجيبة الا انهم في هذه الفترة من الحرب كانوا في حالة لا تمكنهم من مجابهة خصمهم العنيد ورده وكسر قوته

ومن الغريب ان عبد الكريم كان لا يحاول ابداً في هذا الوقت مصادمة جنودنا ومحاربتهم وردهم ، فكان كلما تقدم الجند الافرنسي نحو الريف ، تراجع جند عبد الكريم امامه ، ولكنه كان يهاجم الاسبانيين ويمعن فيهم فيردهم ويكسرهم

وبتقدم فصل الشتاء توقف الزحف، وراح جنودنا يأخذون لانفسهم الراحة التي كانوا بحاجة اليها على ان يعودوا الى هجومهم في فصل الربيع الذي كان يعتقد الخبراء العسكريون ان فيه ستكون نهاية هذه المعارك المفجعة

والواقع ان مواقف جنودنا في هذه الفترة كانت حسنة جداً وكان بامكانها المحافظة عليها بما كان لديها من قوة ومعدات

كما ان كثيراً من القبائل اخذت تعود الى حظيرة الطاعة وتطلب الامان والسلام



- ١١ -

بيد ان فصل الشتاء لم يكن هادئاً كل الهدوء ، فان توقفت فيه المعارك والمناوشات العسكرية فان السياسة نشطت فيه الى السعي لعقد الصلح مع الريفيين وحملهم على طلب السلام ، رحمة للناس ومحافظة على الدماء الجديدة التي كان حتماً عليها ان تهرق في معارك الربيع المقبل

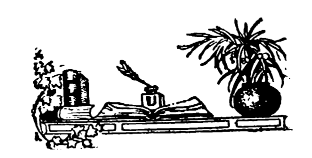
وهذه الفكرة الشريفة يجب ان تذكر بالشكر للمارشال بتان الذي لما احس بقوته ، وبان الانتصار في الربيع المقبل اصبح امراً واقعاً اراد ان يظهر ما تكنه فرنسا لقبائل الريف من عطف وعناية ، خصوصاً وان الانتصارات الافرنسية الاخيرة قد اضرت بسمعة عبد الكريم وعصمته العسكرية بين قبائله والقبائل التي كانت تحاول العمل تحت لوائه ومناصرته ومساعدته ، كل مارأت قوته بازدياد ، وقبائله تنتقل من نصر الى نصر ، ولكن جهود دوائر الاستخبارات الافرنسية في المغرب كان عظيماً بليغ الاثر ، بحيث استطاعت هذه الدوائر ان تنزع من عقلية هذه القبائل عصمة عبد الكريم ومقدرته على الانتصار النهائي ، وهذه الجهود السرية من دعاية وترويج ومساع وغيرها قد كان لها الاثر الفعال في

اطمئنان هذه القبائل الى السلام الذي عرضته فرنسا عليهم ، وقبولهم بوصايتها واشرافها

ورأى عبد الكريم نفسه محاصراً كما قدمنا ، ورأى انه ما يستطيع بعد اليوم ان يتسلل الى الخطوط الافرنسية كما كان يفعل قبلاً يبث دعاته فكرة الثورة والعصيان بين القبائل الهادئة ، فاسقط في يده واخذ حتماً يفكر بمصيره

وعندئذ ارادت الحكومة الافرنسية ان تطلب من عبد الكريم الكف عن القتال بعد ان اصبح فشله ظاهراً للعيان ، وبعد ان اصبح انكساره في الربيع المقبل امراً مفروغاً منه ، وهو بعمله هذا وبقبوله للشروط الافرنسية كان يحقن دماء رجاله ودماء الجند الافرنسي ، خصوصاً بعدان قطع الامل بنجاحه فاصبح اصراره والحالة هذه على الحرب ضرباً من الجنون

وقد اتفقت الحكومتان الافرنسية والاسبانية على ان يبلغا عبد الكريم رغبتهما هذه ، وكان ذلك امراً مقضياً ، وعلى اثر ذلك اتفق الطرفان على ان يجتمع مندوبوهما في مؤتمر (اوجدا)



- ١٢ -

ولقد كانت الحكومتان ترغبان في ان تحملا عبد الكريم على التحدث معهما بشأن الصلح قبل استئناف القتال في الربيع .

ولكن لماذا فشل مؤتمر (اوجدا) ؟

لما عقد مؤتمر اوجدا جلساته ، كان عبد الكريم على مثل اليقين — وقد اعترف بذلك — بان كل مقاومة من طرفه لاتجديه نفعاً ، وان رجاله لن ينظروا بعين الرضى والانشراح الى استئناف قتال والعودة للحرب التي كانت عواقبها ومصايرهما معروفة ظاهرة .

وحين يقول عبد الكريم في مذكراته ، بانه اضطر الى الانسحاب من المؤتمر بسبب المطالب الشديدة التي عرضت عليه والتي تطلب منه التسليم لانه فقد منزلته عند جماعته ، ولان جماعته لا يريدون الحرب والقتال بعد اليوم ، فان هذا القول لم يكن منه غير وسيلة وحجة يتذرع بهما

ذلك ان عبد الكريم كان رجلاً ذكياً ، وهو ولا ريب كان يعرف الحقيقة التي يحاول انكارها ، ولم يكن يجهل ما اخذ يستولي على رجاله في المدة الاخيرة من فتور ، وكيف انهم

باتوا يريدون الانفضاض من حوله وتركه وشأنه ، وليس ادل على ذلك من الخوف الذي راح يستولي عليه لما حمل ثروته وما لديه من اموال ومتاع الى الحدود الافرنسية وكيف انه كان يخشى ان يهاجمه في الطريق حلفاؤه ورجاله فينقضون على ما لديه سلباً ونهباً .



- ١٣ -

والخلاصة انه على اثر فشل مؤتمر (اوجدا) قامت القوات الافرنسية والاسبانية بقيادة الجنرالين بواشو وسان جوركو بهجوم عنيف ·

وما هي الا ايام حتى تمكنت هذه القوات وغيرها من الوصول الى ارض الريف حيث يقوم جبل (حمان)

وتقدمت في الوقت نفسه قوة من المراكشيين بقيادة الجنرال (ايبوس) حتى وصلت الى تارجيست

وقد تمكنت هذه القوات جميعها على طول خط تبلغ مساحته ٣٠٠ ميل من توقيف الهجوم الريفي الذي كان يقع بين آونة واخرى وبذلك اصبح الجيش الريفي نفسه مطوقاً من جميع الجهات ، وكانت المدافع تطلق نارها على مراكز الريفيين ليلاً ونهاراً فتحدث الذعر في القلوب

وكانت السواحل تراقب كلها مراقبة شديدة بواسطة اسطول الدولتين ، بحيث لم يكن بوسع عبد الكريم ان يتناول الذخائر من الخارج كما كان يفعل قبلاً

واخذ الاضطراب يستولي على الجيش الريفي شيئاً فشيئاً وكان

طلب السلام والامان من القبائل لا ينقطع ابداً ٠

ثم اخذت تخف المقاومة حتى انقطعت تماماً ٠

وبذلك ضعفت سلطة عبد الكريم ولم يبق لها من اثر ٠

وبدأ الغرباء الذين كانوا يدفعونه لحربنا ومقاومتنا ينفضون من حوله ويتركونه وشأنه ٠

وكذلك اخذ رجاله واخلص المخلصين اليه يغادرونه ٠ وعرض علينا كثيرون ان يأتونا به حياً او ميتاً ٠

ولم ير عبد الكريم والحالة هذه امامه الا التسليم ٠ ولكنه كان يفضل ان يستسلم لنا لا الى سوانا ٠ ذلك انه كان يعتقد بعطفنا وبحسن وفادتنا وضيافتنا له ولرجاله ٠

وكان ذلك امراً مقضياً ، وحصل الاتفاق على التسليم وحمل المسيو (بارنيت) معه من الريف كتابين الاول للمندوب السامي الاسباني في مراكش ، والاخر للمسيو ستيغ المقيم العام الافرنسي ، وفيهما يشير عبد الكريم الى رغبته في التسليم وتوقيف القتال

وقد تم تسليم عبد الكريم نفسه الى السلطات الافرنسية في (تارجيست) وبذلك انتهت الثورة الريفية ، وعاد السلام يغمر هذه البلاد من اقصاها الى اقصاها

- ١٤ -

لقد كنت محرراً عسكرياً لجريدة (الماتان) الافرنسية كما قدمت ، و كنت طبعاً شاهد عيان لتقدم الجيوش الافرنسية الى الريف سنة (١٩٢٦) فلما آذنت شمس السلام بشروق ، ركبت سيارة ثم طيارة الى (تارجيست) وهي البلدةالتي صار الاتفاق بين عبد الكريم ورجال السلطات الافرنسية على ان يصير التسليم فيها وذلك برغم المخاطر التي كانت تعترضني في طريقي ، لان كثيراً من القبائل لم تكن قد القت سلاحها في ذلك الحين.

وقد تمكنت من الاجتماع بعبد الكريم في هـذه البلدة فور قدومه اليها ، ولكن هذا الاجتماع كان قصيراً .

ذلك لان هذا الزعيم المغلوب كان يخص في ذلك الوقت الزعماء الغالبين ، وكان على الصحفي ان يترك مكانه طبعاً لقواد الجيش واصحاب الانتصار

ولكنني اقسمت من ذلك الحين على الاجتماع بعبد الكريم في فترة ثانية وان آخذ منه حديثاً مطولا عن ثورته ووقائعه . واما كيف واين ؟ فقد كان ذلك مجهولا عندي ، وان كنت اعلم ان مثل هذه الرغبة لا تخلو من الصعوبة.

لقد كان من السهل علي الاجتماع بعبد الكريم وهو قوي حر في الريف وبين جنوده ورجاله ، واما الاجتماع به وهو اسير ، فقد كان امراً صعباً حقاً .

ذلك ان المراقبة كانت شديدة ، والاجتماع به من الصعوبة بمكان عظيم ، وكان على من يرغب الاقتراب منه ان يحاول المستحيل وان يتمكن من ابعاد المكلفين بحراسته ، والاتفاق مع الضابط المترجم الذي عهد اليه بان لا يفارقه .

ولكن كل هذه الاحتياطات لم تقف في وجهي فقد تمكنت بطرق لا اريد ان اكشف اسرارها للملأ من الاجتماع بعبد الكريم على ظهر الباخرة (العبدة) التي اقلته الى منفاه ، وكنت بذلك اول صحافي افرنسي تمكن من الوصول الى عبدالكريم والتحدث اليه

وقد تمكنت من تمضية الطريق من كسلبانكا الى فريول مع عبد الكريم وشقيقه .

وكنت الوحيد الذي تمكن من التحدث اليهما في النهار وفي الليل خاصة مدة ايام متعددة

وقد كتبت اكثر الصفحات المقبلة باملاء عبد الكريم وشقيقه ، واما الذي ليس من املائه فمنقول عن الاوراق التي دفعها عبد الكريم الي ، والتي كان قد كتبها قبلاً وقد اراد ان

يظهر للملأ فيها مسؤوليته الخاصة امام التاريخ وامام قومه

وعبد الكريم يكذب كل الاخبار والاحاديث التي نشرت عن لسانه ، والتي لم يؤخذ رأيه في نشرها

فهذه المذكرات والحالة هذه هي الوحيدة من نوعها في العالم وقد صادق عليها عبد الكريم و كتبت برأيه وباشارته وباملائه

وقد كتب عبد الكريم بخط يده تحتها ما نصه بالحرف الواحد :

« اني اعترف بان المذكرات التي ستنشر بامضاء محرر جريدة الماتان هي نفسها التي املاها شقيقي سي محمد على المكاتب المذكور »

محمد بن عبد الكريم الخطابي

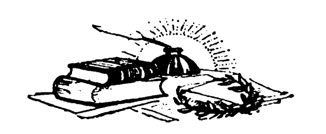
ولقد اشرت قبلاً الى الاسباب التي دعتني لنشر هذه المذكرات في كتاب قائم بنفسه

ذالك اني لم اقع على مذكرات لزعيم مغلوب تناولت بصراحة وصدق الاسباب الاساسية للحرب ، والثقة بالغالب الافرنسي الذي راح يسلم نفسه اليه ، وفيها من التصريحات الخطيرة السياسية ومن التهم الموجهة الى بعض الحكومات والشخصيات البارزة ما حملني على ان اترك مسؤوليتها للامير عبد الكريم نفسه وان انشرها في كتاب يكون حجة في المستقبل للذين يريدون البحث في اسباب الحرب الريفية ومصايرها ونتائجها ، مع المستندات التي تثبت ما

نشرته وتؤيدما رحت اروج لاذاعته

وستعلم اسباب الحرب والحالة هذه من الشخص الوحيد الذي يستطيع ان يتكلم عنها ، وستظهر الوسائل التي اتبعت لاثارة الريفيين وتغذيتهم بالمال والذخائر

وستكشف هذه المذكرات القناع عن مواقف بعض رجال السياسة من حلفائنا وغير حلفائنا ، وستظهر للعيان الاسباب التي حملت الريفيين على مهاجمة خطوطنا ومراكزنا ، برغم ما كان يظهره عبد الكريم من رغبة في صداقتنا والاتفاق معنا ·



- ١٥ -

ولقد تحدث الى عبد الكريم على ظهر (العبدة) في ما تحدث به الي عن ثلاثة اشخاص ، راح يظهر لي ما يكنه في صدره لهم من احترام واكرام وتقدير .

اما هؤلاء الثلاثة فالمسيو بنليفه وزير الحربية الافرنسية في ذلك الحين ، والمارشال بتان ، والمسيو ستيغ المقيم العام في مراكش .

وستبقى هذه الاسماء الثلاثة مرتبطة بتاريخ الحرب الافرنسية الريفية مع غيرها من اسماء الابطال الذين سقطوا في ساحات الوغى .

١٩٢٧ روجر ماثيو



بلاد المغرب

مقدمات تاريخية تتناول جغرافيتها وتداول الممالك والدول فيها

تقع مراكش او بلاد المغرب الاقصى (١) في شمال افريقية الغربي ويحدها شمالا البحر الابيض المتوسط ومضيق جبل طارق وغرباً البحر الاطلانتيكي وجنوباً الصحراء الكبرى ، وشرقاً الجزائر

وتبلغ مساحتها (٨٠٠) الف كيلو متر مربع وعدد سكانها بحسب الاحصاآت الاخيرة اثنا عشر مليون نسمة ، وهم ساميون مسلمون لغتهم العربية والبربرية

وفي هذه البلاد جبال عالية وهي شعب من سلسلة جبال الاطلس ، ومن شوامخها : غمارة ، ومديونة وجبالا وغيرها

وتجري في هذه البلاد انهار كثيرة اشهرها : ملوية ، وسيبو

(١) قسم العرب بلاد المغرب ، وهي الاقاليم الافريقية المجاورة للبحر الابيض المتوسط ، الى ثلاثة اقسام : الاول المغرب الاقصى وهو من البحر الأطلانتيكى الى تلمسان ، الثانى المغرب الاوسط وهو من تلمسان الى برقة ، ويقال لهذين القسمين (بر العدوة) لانه يعدى منه الى بلاد الاندلس ، والثالث المغرب الادنى او الشرقي وهو من برقة الى حدود مصر

وام الربيعة ، ووادي ورغة ، والمخازن والتنصيف ، واللقس والفلفل -

وهواء هذه البلاد معتدل وتربتها خصبة جيدة . واشهر حاصلاتها الحبوب والفواكه والزيتون ، وفي كثير من وديانها وجبالها مناجم ومعادن جمة

ومن مصنوعاتها دباغة الجلود وصناعة السجاد ونسج الاقمشة الصوفية . وقد اشتهرت مراكش بالنقش في الجص على ظواهر الحيطان المسماة بنقش حديدة . ولما فتح معرض باريس سنة ١٨٧٨ ارسل اليه مولاي الحسن بن محمد داراً من خشب على هيئة ديار فاس من هذا النقش مفروشة فرشاً مغربياً ، فكانت هذه الدار قبلة المتفرجين .

اما تقسيماتها الادارية فتقسم اليوم الى منطقتين : الاولى خاضعة للحماية الافرنسية وتسمى مراكش وهي الواقعة جنوب نهر اللقس ومن اشهر مدنها فاس ومراكش والرباط واغادير ومغادور والدار البيضاء والجديدة

والثانية تخضع للنفوذ الاسباني وتحد شمالا بالبحر الابيض المتوسط وشرقاً بالجزائر وغرباً بالبحر الاطلانتيكي وجنوباً بنهر اللقس حتى ثغر العرايش . وهي قسمان : الاول البلاد الخاضعة السلطة الرسولي وتسمى (جبالة) وعاصمتها (تازروت ، والقسم الثاني وهو واقع تحت سلطة الامير ابن عبد الكريم ويسمى (الريف)

وعاصمته (اجدر)

واشهر مدن القسم الاول تطوان : وسبته ، وطنجة ، وازيلا ، والعرايش ، والقصر الكبير ، والشاون . واشهر مدن القسم الثاني : مليلة ، واجدر ، والمطير

☆☆☆

كانت افريقية الشمالية وهي معروفة ببلاد المغرب يقطنها منذ القدم قوم يسمون (البربر) وهم مع تشعب قبائلهم وكثرتها يرجعون بانسابهم الى اصول ثلاثة : صنهاجة ، وكتامة ، وزناتة . واختلف المؤرخون في منشأهم وذهبوا في ذلك مذاهب شتى ، واورد كل فريق حججه وبراهينه ولكن الرأي الاخير الراجح هو ما اثبته المؤرخ الاميركي (جمس هنري بريستيد) من انهم عرب ساميون هبطوا المغرب عن طريق مصر من زمن سحيق في التاريخ .

ولما شاد الفينقيون — وهم عرب ساميون ايضاً — دولتهم البحرية العظيمة قبضوا على ازمة البلاد الافريقية الشمالية واستعمروها كما استعمروا القسم الجنوبي من اسبانيا ، وعلى اثر ذلك هاجر جماعات من صور عاصمة الفينقيين الى هذه البلاد فاستوطنوها ثم بنوا بلدة (قرطاجنة) ذات المجد الباذخ التي لا تزال آثارها باقية حتى اليوم واسسوا دولة عظيمة تعرف بالدولة القرطاجنية عظمت شوكتها وقوي نفوذها وبسطت سلطانها على بلاد المغرب واسبانيا ، وقد

دامت هذه الدولة مدة من الزمن كانت خلالها البلاد الخاضعة لها ترتع في بحبوحة من المدنية والعمران واليها يرجع الفضل في حضارة اوربا القديمة ، ثم اغار الرومان عليها فابادوها والحقوا ببلاد المغرب بمملكتهم ، ومنذ ذلك الحين الى اواسط القرن الخامس الميلادي اصبحت ولايـة رومانية . ولما تغلبت القبائل الجرمانية على روما هبط (الفاندال) الى افريقية وافتتحوها ، ولم يكن لامبراطور الروم من سلطة فعلية عليها في ذلك العهد كما انه لم تكن للفاندال بها حكومات ثابتة الدعائم

وفي اوائل القرن السادس للميلاد اجلى (جوستينان) امبراطور الدولة الرومانية الشرقية الفندال عن افريقية فعادت الى سلطان الدولة الرومانية الشرقية ، وظلت منذ ذلك الوقت ولاية رومانيـة الى ان فتحها العرب

***

ولما تولى معاوية بن ابي سفيان عرش بني امية وجه عنايته الى فتح افريقية وكانت الجيوش العربية قد غزتها قبل ذلك فاوفد اليها سنة ٤٥ معاوية بن خديج وفي سنة ٥٠ عقبة بن نافع بجيوش جرارة تمكنت من التوغل فيها حتى وصلت الى سواحل المحيط الاطلانتيكي ثم بنى قلعة قيروان واقام حاكماً في افريقية حتى ثار البربر سنة ٦٥ بزعامة امير منهم يسمى (كسيله) وحاصروا قلعة القيروان فقتل

عقبة مدافعاً عنها وكادت تذهب بوفاته دولة العرب في افريقية ولكن عبد الملك بن مروان صمم على استعادتها فارسل جيشاً كسر الروم والبربر شر كسرة واستعاد العرب سلطانهم على بلاد المغرب

وفي ذلك الحين اجتمع البربر تحت لواء امرأة تعرف (بالكاهنة دهياء) وهي من قبائل زناتة وانقضوا على الجيش العربي فارتد الى برقة ، وبسطت الكاهنة سيادتها على بلاد المغرب مدة خمسة اعوام ثم ارسل عبد الملك مدداً للجيش العربي فاغار عليها وقتلها في الاجم بعد مقاومة عنيفة . فاضطر البربر الى عقد الصلح ، ثم ولي موسى بن نصير ولاية افريقية فاستولى على (طنجة) آخر معاقل البربر وطهر المغرب من العصاة والثوار ثم غزا مولاه طارق بن زياد الاندلس فافتتحها والحق هذه البلاد التي كانت مملكة ضخمة ودولة عظيمة بعامل افريقية

وقد تولى مقاطعة المغرب ولاة عديدون من قبل الامويين والعباسيين ، عملوا على انعاشها وتمدينها ، فأسسوا المؤسسات والمعاهد ونشروا العلم والصناعة وغير ذلك من الاعمال العظيمة التي لا تزال ناطقة بفضل العرب حتى اليوم ، كما ان هذه البلاد كانت مركزاً حربياً عظيماً يعتمد عليه الخلفاء في غزواتهم البرية والبحرية ، ففي القيروان — حيث كانت دار الصناعة البحرية — تجتمع الاساطيل وتحتشد الجيوش ، ومنها تسافر الى الجزر وسواحل اوروبا

للغزو والفتح

ولكن وقائع الخوارج في افريقية ، وظهور القلاقل وتعكر صفو الامن فيها واضطراب حالتها التجارية جعل دخلها المالي لا يوازي نفقاتها ، لما تتطلبه القلاقل من جيوش وعتاد ، فكانت مصر تدفع من خزينتها مائة الف دينار سنوياً الى خزينة المغرب لسد هذا العجز

ولما اعيت الحيلة دار الخلافة ورأت ان الحالة في المغرب تزداد سوءاً بحيث لا يرجى رتقها منحها هارون الرشيد سنة ٨٠٠ م اللامركزية الواسعة وعهد بامارتها الى ابراهيم بن الاغلب ولاعقابه من بعده على ان يترك المئة الف دينار التي كانت ترسل من مصر الى المغرب وعلى ان يتحمل هو من بلاد المغرب اربعين الفاً سنوياً

***

بقي ابن الاغلب وآله محافظين على ولائهم للعباسيين يخطبون على المنابر باسم خلفاء بغداد ويأتمرون بامرهم ويعملون على اخضاع البلاد الثائرة عليهم ، ولذلك لا يمكننا ان نعد امارة بني الاغلب مبدأ لاستقلال المغرب وانفصاله عن مركز الخلافة ، وانما التاريخ الحقيقي لهذا العهد — عهد الاستقلال — هو يوم ظهور ادريس بن عبدالله من احفاد الحسين عليه السلام في وليلى بمراكش سنة ٧٨٨ م

ومن المعلوم انه على اثر فتك الخليفة العباسي الهادي بن المهدي بالحسين بن علي من آل علي بن ابي طالب كرم الله وجهه فرعمه ادريس بن عبد الله الى مصر فبلاد المغرب واستقر في مراكش ، فتجمعت حوله قبائل البربر وبايعته بعد ان خلعت عصا الطاعة للعباسيين ، وقويت شوكته واسس في بلاد المغرب دولة تنسب اليه كان من امرها ان بسطت سلطانها على المغرب الاقصى والاوسط واقامت في هاته الديار مدنية زاهرة وعمرانًا عظيماً ، وقد اشتهر من امراء هذا البيت يحيى الثالث ابن ادريس بمقدرته وعلمه ، فكان اعلاهم قدراً وابعدهم ذكراً واكثرهم عدلاً وفضلاً . ولكن عباب الفاطميين طمى على ملكه فاغرقه ، واندرجت دولة الادارسة في دولتهم فاصبح امراؤها عمالاً خاضعين لدار السلطنة الفاطمية

ولما رأى عبد الرحمن الناصر ان الدعوة الفاطمية اجتاحت افريقية الى شواطيء الاطلانتيك واخذت تهدد الاندلس ، اجتاز البحر بجيش جرار الى سبتة واخضع القسم الغربي من المغرب الاقصى لسلطانه وبقي القسم الاخر تحت نفوذ الفاطميين

ثم توالى الغزو من الطرفين عليها فكانت تخضع تارة للفاظميين وآونة للامويين الى ان قتل الحسن بن قنون سنة ٣٧٥ . وبقتله انقرضت دولة الادارسة ودخلت في حوزة الامويين فاختار المنصور عندئذ لادارتها زيري بن عطية زعيم مفراوة اشد قبائل

البربر بأساً واكثر عدداً .

* * *

وبعد وفاة زيري المذكور خلفه ابنه المعز على ولاية المغرب فلبث هذا في طاعة الامويين ينشر دعوتهم ويوطد سلطانهم فيها حتى اضطرب حبل الخلافة بالاندلس سنة ٤١٧ هجرية فقطع وقتئذ ذكرهم من الخطبة وطرد عمالهم واعلن استقلاله وتولى الملك بعده خمسة من سلالته الى ان استفحل امر المرابطين سنة ٤٦٢ فقضوا على ملك بني مفراوة وحلوا مكانهم على عرش المغرب

ونشأت دولة المرابطين في جبال البربر عام ٤٥٠ ، فاخذ اميرها ابو بكر بن عمر يجاهد في سبيل الله وتوطيد الامن في اصقاع المغرب ، وجاء بعده امراء ساروا على خطته وعظم نفوذهم وكان لهم خدمة جلى في نشر النفوذ العربي وقطع دابر الفساد

واشهر هؤلاء الامير يوسف بن تاشفين ، فقد امتد سلطانه على بلاد المغرب كلها من حدود مصر الى سواحل المحيط الاطلانتيكي ، وبنى مدينة مراكش واتخذها عاصمة لملكه ، وقطع خطبة الفاطميين ، وخطب للعباسيين فوجه عليه الخليفة العباسي المقتدي لقب (امير المسلمين)

وقد عظم نفوذه حتى استغاث به العرب في الاندلس فعبرها عام ٤٧٩ وصدم جيش الهرنجة في موقعة (زلاقة) فهزمه هزيمة

شنعاء ، ثم محا ملوك الطوائف وبسط نفوذه على اكثر امارات الاندلس ، مما افضى الى انتعاش العرب في الاندلس حيناً من الدهر .

وسار ابنه الامير علي على قدم والده في بسط سلطان المرابطين ودفع غارات الافرنج فاسترد منهم مواقع كثيرة .

وفي عهد الامير علي ظهرت فئة في جبال المصادمة تدعى بالموحدين يقودها محمد بن تومرت ، ما لبثت ان اشتدت قوتها وعظمت شوكتها في البلاد . ثم قتل دعاتها الامير اسحق آخر امراء المرابطين سنة ٥٤٢ وبموته انقرضت دولة المرابطين بعد ان لبثت قرناً ونيفاً .

***

وخلف ابن تومرت في الحكم احد مريديه عبد المؤمن بن علي ، فكان حازماً عاقلا طموحاً تلقب بلقب (امير المؤمنين) وابطل خطبة العباسيين وعمل على بسط نفوذه في بلاد المغرب كلها وسير حملة برية وبحرية الى الاندلس وصدم جيوش الافرنج وبسط سلطانه على اكثر الامارات العربية الباقية فيها فاصبحت بلاد الاندلس كلها خاضعة له

وقد قام عبدالمؤمن بعمل عظيم في بلاده لم يسبقه اليه احد في المغرب وهو مسح الاراضي وتخطيطها ووضع الخراج عليها وفاقاً لمساحتها . واحداث الالعاب الرياضية ومنها الكشافة في

المدارس وعنه اقتبسها الفرنجة

ومن الموحدين الذين اشتهروا امين المؤمنين المنصور بالله فقد كان ذا حزم وسياسة ، جاهد بالافرنج في الاندلس جهاداً عظيماً وهزمهم مرات كثيرة واشهرها في موقعة (الارك ، فذع صيته واسمه حتى ان السلطان صلاح الدين الايوبي طلب منه المعونة لدفع غارات الافرنج عن بيت المقدس ، وقد زهت البلاد في زمنه بالعلوم والعمران ، واحدثت المعاهد الخيرية والمستشفيات ودور العجزة والمدارس ، واسس مرصداً في مدينة (اشبيلية) بالاندلس ونبغ في زمنه كثير من رجال العرب وفلاسفتهم ، كابن زهر ، وابن باجة وابن رشد وابن حزم وابن الطفيل

واصبحت بلاده تعج بالمهاجرين من العرب والمسلمين ، ومن اشهر القبائل التي هاجرت اليها قبائل بني هلال العربية الشهيرة .

وبعد وفاته اخذ الوهن يتسرب الى الدولة ونفوذها فقامت الثورات الداخلية التي ادت الى استقلال بعض الامراء في المغرب والاندلس ، فبلغت مدة حكمها نحو قرن ونيف الى ان قضى عليها بنو مرين .

***

وعلى اثر انهزام جيوش الموحدين في وقعة العقاب بالاندلس وتضعضع حكمهم في بلاد المغرب ثار ابو يوسف يعقوب بن عبد

الحق المريني في مراكش واعلن استقلاله فيها فسميت دولته (الدولة المرينية) وقد اخضعت لحكمها المغرب الاقصى والاوسط واستعان العرب في الاندلس بالمنصور بالله يعقوب اشهر امراء بني مرين فجاز الاندلس مراراً وحدثت بينه وبين الافرنج عدة وقائع كان النصر فيها حليفه ، فهابته الافرنج وطلبت مودته . وقد قطع خطبة بني حفص وخطب لنفسه وتلقب «المنصور بالله» وشيد مدينة (الدار البيضاء) وسار خلفه يوسف على خطة والده فحارب الافرنج وانشأ الاساطيل واسس المدارس والمعاهد وبنى جامع تازا المشهور وعلق به الثريا الكبرى التي بلغ وزنها اثنين وثلاثين قنطاراً من النحاس الخالص وعدد كؤوسها ٥١٤ كأساً

ومن مشاهير هذه الاسرة السلطان ابو الحسن فقد كان ابعد ملوكها صيتاً واكثرهم آثاراً بالمغربين والاندلس ، ففي عهده عم العدل وانفتحت للناس ابواب المعاش والترف ، واستبحر العمران ، وظهرت المدنية باكمل معانيها

ولما ضعف شأن هذه الدولة استولى البرتقاليون على سبتة وطنجة واختل الامن وتوقف دولاب العمل ، فادى ذلك الى الثورات والفتك بالسلطان عبد الحق بن ابي سعيد سنة ٨٦٩ وبقتله انقرضت هذه الدولة ، وقد كانت البلاد في عهدهم وصلت الى اوج عزها ، واشتهر من سلاطينها ابو سعيد عثمان وابو فارس عبد العزيز والامير

علي بالعلم والادب ونبغ في عصرهم علماء فطاحل امثال ابن خلدون وابن الخطيب وابن بطوطة وابن البناء الرياضي وغيرهم

***

وبنو وطاس فرقة من بني مرين غير انهم ليسوا من بني عبد الحق وقد استخدمهم هؤلاء في وجوه الولايات والوزارة ، ولكن تضعضع اسرة عبد الحق في آخر عهدهم اطمع ابا عبد الله محمد الوطاس بالملك ، فثار على بني عمه وتفاقم خطبه فدانت له البلاد وتبوأ عرش المغرب . وفي عهده وقعت كارثة الاندلس العظمى باستيلاء الاسبان عليها فتوافد آخر بني الاحمر ابو عبد الله الصغير ومئات لالوف من المسلمين الى المغرب يحملون تذكاراً يحوي في مطاويه أبهر العظات ، واعظم التذكارات . فاقتطع لهم سلطانها مليلة وتطوان وسلا وضواحيها ، وهذه البلاد واقعة في منطقة الريف الشرقي الخاضعة للامير عبد الكريم زعيم الثورة اليوم ، واستوطن الملك ابو عبد الله فاساً فاقام فيها الى ان وافاه الاجل المحتوم ، فكانت ايام هذه الدولة الوطاسية ايام نحس وعزاء وضعف وشغب طمع الفرنجة بملكها فاستولى البرتقاليون على ازيلا وأسفي وآزمود وغيرها من الثغور ، وحدثت فتن وثورات في الداخل اودت بحياتها

***

وقامت بعدها دولة جديدة بزعامة ابي عبد الله محمد على اثر فشل الوطاسيين وعجزهم عن صد هجمات البرتقال فالتف الشعب حوله واشتدت شوكته وجاهد هو وخلفاؤه بالبرتقال جهاداً عظيماً كان النصر حليفه في اكثر الوقائع ، فانسحب الفرنجة عن بعض الثغور التي كانوا استولوا عليها ، ثم عاود البرتقال الكرة على بلاد المغرب فحدثت معركة كبرى في وادي المخازن اسفرت عن انكسار جيوش البرتقال وقتل مليكهم

وقد اشتهر من السعدية السلطان منصور باقدامه وشجاعته وحسن تدبيره ، وبلغت الدولة في ايامه ارفع درجات القوة والعظمة ودانت له الصحراء والسودان حتى تنبكتو ، وعم في عهده الرخاء وانتشرت المدارس وشيد آثاراً عظيمة اعظمها قصر البديع في مراكش

وفي اواسط القرن الحادي عشر للهجرة وقع انشقاق بين الاسرة المالكة فقضي عليها

ولما شعر المغاربة بمغبة الحالة التي نتجت عن تطاحن الاسرة السعدية ، بايعوا (مولاي علي الحسني) — الذي كان قدم في بدء القرن الحادي عشر مهاجراً من الحجاز واستوطن في تافيلات — بالملك فاعتلى عرش الدولة الحسنية التي لا تزال تحكم المغرب الى يومنا هذا ، ولما توفي خلفه ابنه (مولاي رشيد)

فمولاي اسماعيل الكبير اشهر سلاطين هذه الاسرة الشريفة ، وكان سياسياً ماهراً وشجاعاً مقداماً ، دانت لحكمه المغرب الاقصى والسودان ، وطرد الانكليز من (طنجة) والاسبان من (العرايش والمهدية) والبرتقال من ازيلا ، فهابته الملوك ، وخشيته الدول فطلبت وده وصداقته حتى انه طلب الزواج مرة بابنة لويس الرابع عشر

وفي عهد مولاي محمد بن عبد الله غنم قرصان البحر مرة مركباً فرنسوياً اتوا به الى العرائش ، فهاجمها الاسطول الفرنساوي ورماها بمدافعه ، ولكنه عاد خاسراً ، وطردت جيوش المغرب البرتقال من مدينة (الجديدة) التي كانوا استولوا عليها قبل مدة

وفي هذه الاثناء وقع نزاع بين امراء العائلة المالكة كاد يقضي على عرشها لولا ان تداركها (مولاي سليمان) بحكمته ودرايته فازال هذه المشادة وسوى الخلاف واعاد للملكة عزها ومجدها وساد الامن وعم العدل في البلاد ، ومنع القرصان ، فاحبته اوربا وصادقته دولها حتى انه ارسل سفيراً الى نابليون الاول امبراطور فرنسا ، وظل هذا شأن رجال هذه الدولة حتى ايام مولاي محمد فكانت بينه وبين نابليون الثالث مخابرات ودية كثر على اثرها قدوم التجار الفرنساويين الى المغرب فمنحهم مولاي محمد مع غيرهم من الفرنجة واليهود امتيازات دينية وتجارية ، كانت هذه سبباً غير مباشر

في تدخل الفرنسيس في مراكش

ولما جلس مولاي عبد العزيز على عرش المغرب تحفزت فرنسا لبسط نفوذها على هذه البلاد ، فوقفت انكلترا لها بالمرصاد مخافة اقترابها من جبل طارق ، وفي عام ١٩٠٤ جرت محادثات بين انكلترا وفرنسا اسفرت عن توقيع معاهدة في ٨ نيسان نصت المادة الاولى منها على تنازل فرنسا عن حقوقها في مصر لانكلترا ، والمادة الثانية على ان فرنسا لا ترغب في تبديل الحالة السياسية في مراكش ، وان بريطانيا تعترف انه من شأن فرنسا ان تسهر على سلامة تلك البلاد (اي مراكش) وان تقدم لها جميع ما تحتاج اليه من المساعدات الادارية والاقتصادية والمالية والاصلاحات العسكرية وانها - اي بريطانيا - لا تمانع في بسط نفوذ فرنسا على مراكش شرط المحافظة على حقوقها وامتيازاتها فيها

وفي شهر تشرين الاول من السنة نفسها عقد اتفاق بين فرنسا واسبانيا حددت فيه مصالحهما في مراكش فاحدث ذلك ضجة كبرى في الاندية الالمانية ، واعتبرته الحكومة الالمانية عملاً مغايراً لنصوص عهدة برلين ، وسافر على الاثر الامبراطور غليوم الى طنجة وصرح هناك بانه قادم لزيارة سلطان مراكش المستقل الذي ينظر الى حقوق الدول وامتيازاتها بنظر المساواة ، وطلب وضع المسألة المراكشية على بساط البحث ، فوافقت فرنسا على

عقد مؤتمر دولي عام لوضع حد نهائي لهذه المشكلة ، فعقد المؤتمر في الجزيرة - احدى مدن الاسبان - وحضره مندوبو الدول جميعها ووضع في ٧ نيسان سنة ١٩٠٦ عهدة تحتوي على ١٢٣ مادة جاء فيها :

١ - الاعتراف باستقلال السلطان

٢ - المحافظة على كيان المملكة المراكشية تحت حماية فرنسا

٣ - الحرية التجارية للدول الموقعة على العهدة

ولكن المراكشيين رفضوا الخضوع لمقررات المؤتمر ، فثاروا بزعامة الرسولي فاضطرت فرنسا لارسال قوة لاخمادها ، واحتلت العوجاء والدار البيضاء والشاوية ، وجاءت اسبانيا على الاثر فحشدت قواتها في مليلة وسبتة ، فازداد اذ ذاك شغب المغاربة ، فخلعوا السلطان عبد العزيز عن كرسي المملكة وولوا مكانه مولاي عبد الحفيظ وراحت المانيا تعترض بكل شدة وجرت محادثات بين مندوبي فرنسا والمانيا للاتفاق فلم تسفر عن نتيجة حاسمة .

وفي اذار سنة ١٩١٥ هاجمت القبائل مدينة فاس ، فاستنجد السلطان بالجنود الافرنسية فارسلت فرنسا قوة لحماية السلطان احتلت في شهر مايس (فاس) وفي الوقت نفسه احتلت الجنود الاسبانية العرايش ، فعدت المانيا هذا العمل مغايراً لاتفاقية الجزيرة وارسلت

اسطولها الى (اغادير) فعقد على اثرها مؤتمر الجزيرة يوم ٤ تشرين الثاني ١٩١١ الذي اعترفت فيه المانيا :

١ — بحماية فرنسا على مراكش لقاء تنازلها لالمانيا عن ٢٧٥٠٠ كيلو متر في الكونغو

٢ — ان تحتل فرنسا اي مقاطعة في مراكش تراها مناسبة لحفظ الامن

٣ — ان تمثل فرنسا السلطان باموره الخارجية

٤ — حرية التجارة في هذه البلاد

وبعد انفضاض المؤتمر وقعت معاهدة يوم ١٢ مارس ١٩١٢ بين مراكش وفرنسا اعترف سلطان المغرب بموجبها ان بلاده دخلت تحت حماية فرنسا، فثار الاهلون عندئذ على الاوربيين في فاس . وقتلوا ٦٨ منهم فبعثت فرنسا بالجنرال ليوتي لاخماد الثورة، وحدثت بينه وبين المغاربة معارك انتهت بفشلهم وتنازل مولاي عبد الحفيظ عن العرش ، فتبوأ مكانه مولاي يوسف السلطان الحالي

وكانت اسبانيا تدعي حق الحماية على جانب من المغرب الأقصى فاتفقت هي وفرنسا في تشرين الثاني من تلك السنة على تحديد مصالحهما ونصيب كل منهما من تلك البلاد

***

اما النضال بين الاسبانيين والمغاربة فقديم العهد يرجع الى القرون الاولى من التاريخ ، وذلك لان الطبيعة التي اوجدت هاتين المملكتين متاخمتين لا يفصل بينهما الا بحر الزقاق الذي يتراءى الساحل منه ، قد كونت من المغاربة جسراً للفاتحين والمستعمرين يجتازونه الى بلاد الاندلس ، وقد ذكر لنا التاريخ ان جيوش الفنيقيين والقرطاجنيين التي هاجمت الاسبان في عقر دارهم واستعمرت القسم الجنوبي منها كانت من المغاربة ، كما ان المغاربة كانوا عضد موسى بن نصير وطارق بن زياد وغيرهما في فتوحاتهم العظيمة الاسبانية وتشييدهم لبنيان الدولة العربية

ولما تمزقت الوحدة وتشعبت الكلمة في الاندلس وصار الامر الى ملوك الطوائف واستأسد الفرنجة من سكان الاندلس استصرخ الاندلسيون اخوانهم من وراء البحر فوافاهم مدد المرابطين ، وجاز يوسف ابن تاشفين واعقابه المضيق الى الاندلس بجيوشهم فردوا عادية الفرنجة واسترجعوا كثيراً من البلدان ، ولما قامت دولة الموحدين اقتدى عبد المؤمن بسلفه في الجهاد واعمل السيف في رقاب الخصوم والاعداء فرد كيدهم وكسرهم

وكذلك نفر من بعد هؤلاء بنو حفص ومرين فامدوا اخوانهم في الاندلس بالمال والرجال وهكذا دواليك فكانت الاجازة والجهاد اذ ذاك شأن ذوي القرابة من ملوك المغرب فامتلأت

الاندلس باقيال القبائل والامراء من المغاربة

ولما وقعت الكارثة الكبرى التي افضت الى جلاء العرب عن الاندلس سنة ١٤٩٢ وانقلاب فلولهم مرتدة الى مراكش ، اعتزم ملوك الكاثوليك — وهو اللقب الرسمي لملوك الاسبان — ملاحقة هذه الفلول والتبسط فيما وراء جبل طارق ، فوضعوا خطة للاستيلاء على بلاد المغرب حتى تخوم مصر ، فانقلبت الحرب بين اسبانيا والمغرب من ذاك الحين الى دفاعية من الجانب الافريقي بعد ان كانت هجومية ، ولكن مناجم اميركا وثروتها استهوت الاسبان فصرفوا النظر موقتاً عن المغرب واكتفوا بالنزول في بعض الثغور كمليلة وسبتة بعد ان صالحوا قبائل مراكش وعقدوا معاهدة مع سلطانها

وفي اوائل القرن العاشر للهجرة خرج خير الدين باشا بربروس واخوه (اوروج) غازيين في البحر وحاصروا تلمسان فاستغاث صاحبها بشارلكان ملك اسبانيا فامده بقوة عظيمة ، ولكنه غلب على امره فانقلب خاسراً

ثم حاول الاسبان امتلاك المغرب الاوسط والادنى وجردوا حملات متتالية لغزوها ، فكان خير الدين بربروس يتصدى لهم بمساعدة سكانها من المغاربة وحدثت بين الفريقين حروب عديدة كانت سجالا حتى تمكن بربروس من طردهم نهائياً فاستولى على المغربين

والحقهما بملك آل عثمان

وفي اواخر القرن العاشر للهجرة (١٦٠١) انضم الكثيرون من مهاجري عرب الاندلس الى القرصان للانتقام من الاسبان، فتوالت هجماتهم على ساحل الاندلس وتفاقم خطبهم، فوجه الملك فيليب اذ ذاك قوته الى اضطهاد البقية الباقية من عرب الاندلس فقام هؤلاء بثورة عظيمة كادت تسفر عن استرداد الاندلس من الاسبان ولكنها لم تلبث ان خمدت نارها فطرد البقية الباقية منهم الى افريقية ثم جهز حملة على المغرب الاوسط فاستولى على تونس، ثم استردها الترك بعد اشهر، فسار جيش الاسبان منها الى العرائش من ثغور مراكش لامداد السلطان محمد الشيخ من السعديين وانقاذه من الثوار، فاحتلها الاسبان حتى ردهم عنها مولاي اسماعيل الكبير سنة ١١٠٠ هـ(١٦٨٨)

ثم توالت المناوآت بين الاسبانيين والمغاربة حول الموانيء الساحلية بحراً وبراً نحو مائتي سنة دون ان يتمكن الاسبان من التوغل في داخل البلاد المغربية الى ان احتلت فرنسا الجزائر سنة (١٨٣٠) فبذلت اسبانيا جهوداً عظيمة لاقصائها عنها ومدت الامير عبد القادر بمساعدات كبيرة وحرضت المراكشيين على مساعدة اخوانهم الجزائريين ولكنها لم توفق

ولما اخضعت فرنسا الجزائر وعقدت معاهدة مع مراكش سنة (١٨٤٥) حددت بها التخوم بين الجزائر ومراكش ، اصبحت الدول تهتم اهتماماً كبيراً لشؤون مراكش وتتسابق الى توسيع نفوذها فيها ، فكانت اسبانيا في مقدمة هذه الدول التي جعلت قضية مراكش من القضايا الاولية في مسائلها الخارجية

ثم جاء مؤتمر الجزيرة الذي عقدته سنة ١٩٠٦ فقضى على استقلال المغرب الاقصى رغم ارادة اهله ، وجزأه الى مناطق سلطة ونفوذ. وكان نصيب اسبانيا من هذه الغنيمة المقاطعة الريفية وما جاورها من الجبال القاحلة ، وما بقي من البلاد المراكشية فقد دخل في حيازة فرنسا ونفوذها

ولكن اسبانيا رغماً عن قرار المؤتمر لم تجروء على احتلال الريف الى سنة ١٩٠٩ حيث انزلت فرنسا جنودها في منطقة نفوذها وباشرت في تنفيذ الخطة التى رسمتها فاضطرت عندئذ للقيام بنفس العمل في منطقتها الريفية فارسلت جيشاً الى مليلة وسبتة والعرايش لحماية الولاة فابى الريفيون قبولهم والتخلي عن بلادهم للمستعمرين ، ورأوا ان المصاحة كل المصلحة في المدافعة عن كيانهم واوطانهم فعقدوا الخناصر على مقارعة كل من يريد اخضاعهم

وثارت قبائل انجرة وجبالا (١) بزعامة الريسولي (٢) المشهور

(١) تقطن قبائل انجرة في المثلث الواقع بين سبتة وطنجة ونطوان ، وقبائل جبالا على سواحل نهر اللقس الذي يصب عند ثغر العرايش

(٢) الريسولي — هو مولاي احمد بن محمد بن الريسولي الزعيم المراكشي المشهور ولد سنة (١٨٣٧) فلما شب اخذ يغزو جيرانه، ولما تفاقم شره قبض السلطان عليه وسجنه خمس سنين في (موغادور) وبعد خروجه من السجن اختطف مراسل جريدة التايمس في طنجة واشخاصاً اخرين ولم يطلق سراحهم الا بعد ان اطلق السلطان ستة عشر من رجاله كانوا رهن السجن وفي سنة ١٩٠٤ اختطف امير كيين فنال لقاء اطلاق سراحها فدية قدرها ١١ الف جنيه وعينه السلطان حاكما لمنطقة طنجة ولكن السلطان اضطر اخيراً الى اقالته فعاد الى الجبال واعلن عصيانه مرة اخرى وفي سنه ١٩١٧ اسر السير هنري ماكلين الانكليزي قائد جيش سلطان مراكش فبقي في اسره عدة شهور ولم يطلق سراحه الا بعد ان افتدي بعشرين الف جنيه ثم قام بثورات مختلفة كان لبعضها التأثير السيء على مصير بلاده وفي شباط ١٩٢٥ دفعه الحسد الى مناوأة بطل الريف فاسره رجال عبد الكريم ومات في الاسر

وفي ابريل سنة ١٩٢٤ حاول الاسبان ان يستميلوه ويدفعوه الى قتال الامير ابن عبد الكريم فيضربوا البلاد بعضها ببعض وذلك بان يعينوه خليفة للسلطان في المنطقة الاسبانية ويجعلوه صاحب السلطة العليا في الاراضي الريفية ولكن حركتهم هذه اخفقت لاسباب جمة اهمها رفض مولاي يوسف الذي لا يزال صاحب السلطة الشرعية على البلاد الاعتراف بهذا الخليفة ، ولان صداقته مع ابن عبد الكريم متينة جداً ، ولذلك فضل الانسحاب ظاهراً من الميدان واوعز سراً لقبائله بمساعدة اخوانهم فثارت في وجه الاسبان واعملت السيف في رقاب جيوشهم

فشرعت السلطة الاسبانية في معالجتهم تارة بالعنف والصرامة وطوراً باللين والسياسة فلا الصرامة ارهبتهم ولا السياسة الانتهم فظلوا حتى اوائل الحرب العامة حيث اتفقت السلطة مع الريسولي واطلقت عليه لقب امير الجبل وامدته بالذخائر والاسلحة واغدقت عليه الاموال ، ولكنه بدلا من ان يحقق اغراضها اتفق في زمن الحرب مع ضباط فرقة من الالمان والترك لنشر دعاية ضد فرنسا في مراكش فبقي يناويء الاسبان من جهة ويبث الدعاية ضد فرنسا من جهة ثانية بالاشتراك مع الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي بطل الريف اليوم والامير عبد المالك الجزائري (١) الى ان عقدت الهدنة

---

(١) الامير عبد المالك هو نجل الفريق محيي الدين باشا عضو مجلس الشيوخ العثماني السابق ، ولد في دمشق واتم تحصيله في مدرسة بيروت التجهيزية ثم التحق بقصر (يلديز) مرافقاً للسلطان عبد الحميد ، ثم فر من الاستانة على اثر سعاية رفعت عنه ، وجاء الى الاسكندرية ومنها الى جبل طارق فالمغرب الاقصى ، فبقي هنالك الى ان سمحت له الحكومة الفرنسية بالعودة الى الجزائر فعاد اليها وانتظم في سلك الجيش الافرنسي فيها ثم عين قائداً لقوة الشرطة المراكشية في طنجة ، وهي القوة التي قضى مؤتمر الجزيرة بتأليفها وعند ما نشبت الحرب العامة فر الامير عبد المالك الى الحدود ودخل المنطقة الاسبانية وجعل يبث الدعاية لالمانيا ويحرض القبائل ضد فرنسا ، وبعد انتهاء الحرب العامة عينته السلطة الاسبانية حاكما على قبائل صنهاجه وبقي في هذا المنصب الى اواخر عام ١٩٢٣ اما علاقته مع مولاي ابن عبد الكريم فغير حسنة بل هي سيئة جداً ، فقد حدث في اول نهضته ان كتب الى الامير عبد

سنة ١٩١٨ حيث عينت اسبانيا الجنرال برانجر مندوباً سامياً فجرد حملة على الريسولي وقبائله اسفرت عن اخضاعه واحتلال مدينة شيشوان

وبينما كان الجنرال المندوب يقوم بهذا العمل في المنطقة الغربية كان معاونه الجنرال سلفستر يتهيأ للقيام بنفس العمل في المنطقة الشرقية التي يرأسها الامير ابن عبد الكريم ، فحدثت الثورة العظيمة وضرب الامير الخطابي الاسبان الضربة المؤلمة التي لا يزال صداها يرن في الاذان

***

وليست طنجة مدينة كبيرة تلفت الانظار اليها ، وانما هي مدينة صغيرة في عين الناظر ، وكبيرة جداً عند رجال السياسة بموقعها الجغرافي الذي جعلها صالحة لان يكون لها مرفأ عظيم على ساحل بحر الروم بالقرب من جبل طارق ، فهي من هذه الوجهة ذات اهمية

المالك يطلب انضمامه الى قوته ليكونا يداً واحدة فرفض عبد المالك هذا الطلب بشدة واغلظ لرسول الخطابي بالجواب وهدده ان هو عاد اليه مرة ثانية ، لان عبد المالك لم يكن يحب ان يظهر غيره في الميدان ، ثم جعل بين حين واخر يعرض على السلطة الاسبانية ان يتولى قيادة الجنود المراكشية لمحاربة بطل الريف فقبلت السلطة منه ذلك في النهاية ، وذهب بالفصائل التي جندها من المرتزقة الى مليلة وقام بهجوم شديد على مجاهدي المغرب في شهر ايلول سنة ١٩٢٤ اسفرت عن وقوعه صريعاً في المعركة الاولى

عظمى في نظر الانكليز الذين يعملون للسيطرة على جميع الطرق المؤدية للهند ، ولم تكن هذه الاهمية اقل شأناً ولا ادنى منزلة في نظر ساسة فرنسا واسبانيا الذين يعلقون على وجودها في الساحل المراكشي واسع الامال في اتصال تجاراتهم بمستعمراتهم .

ويبلغ عدد سكانها اليوم نحو اربعين الفاً وهي من المدن التي لا تزال محتفظة بطرازها الشرقي رغم متاخمتها للقارة الاوربية ، واحتكاكها بامم شتى ، وقد استولى عليها البرتقاليون سنة (١٦٥٦) واهديت الى كاترين اوف برجانز عند زواجها من شارل الثاني ملك انكلترا سنة (١٦٦٢) فاصبحت طنجة انكليزية ولكن مولاي اسماعيل الكبير اخرجهم منها عنوة سنة (١٨٨٢) وحاصرها الفرنسيس سنة (١٨٤٤) لمساعدة المراكشيين اخوانهم الجزائريين في ثورة الامير عبد القادر الحسني

ويقيم فيها الان كثير من معتمدي الدول والسلاطين المخلوعين من امراء المسلمين في المغرب الاقصى امثال مولاي عبد العزيز وغيره.

وقد بدأت تكتسب هذه المدينة صفتها الدولية بعد عقد المعاهدة البريطانية المراكشية سنة (١٨٥٦) والمعاهدة الاسبانية المراكشية سنة (١٨٦١) فقد اعترف السلطان في هاتين المعاهدتين بالامتيازات الاجنبية، ومنح اتفاق مدريد سنة ١٨٨٠ هذه الامتيازات لبقية الدول الاوربية صاحبة المصالح في مراكش .

وفي سنة ١٩٠٤ عقدت معاهدة بين اسبانيا وفرنسا اعترفت المادة التاسعة منها بان تكون لمدينة طنجة (صفة خاصة) ثم جاء بعدها مؤتمر الجزيرة سنة (١٩٠٦) فتوسع في تفسير هذه الصفة بحيث جعلها (دولية)

وفي سنة (١٩١٢) بسطت فرنسا حمايتها رسمياً على مراكش بموجب معاهدة عقدتها مع مولاي عبد الحفيظ ، وتأيدت في احدى فقراتها الصفة (الخاصة) التي اعطيت لطنجة فيما سبق ، ثم جاء اتفاق مدريد الذي عقد في السنة نفسها بين اسبانيا وفرنسا فنص على ان « يوضع لمدينة طنجة نظام خاص فيما بعد »

وكان الاتفاق الفرنسوي الالماني الذي عقد عام (١٩١١) على اثر حادثة اغادير (١) قدنص على عدم مد خط حديدي من

---

(١) حادثة اغادير — بينما كانت المانيا تعد عدتها لتنفيذ سياستها الاستعمارية ، كانت فرنسا تعمل من جهة ثانية لبسط نفوذها على مراكش فارادت المانيا ان تنازعها هذه البلاد وباتت تتحين الفرص لذلك الى ان هزمت روسيا حليفة فرنسا ، تلك الهزيمة الشنعاء في موقعة مكدن سنة ١٩٠٥ في الحرب الواقعة بينها وبين اليابان ، فاسرع عاهل المانيا الى زيارة طنجة ، واعلن ان حكومته لن توافق على اي تغيير في ادارة المغرب الاقصى من غير رضاها وفاقاً لقرارات مؤتمر برلين ، فعقد على الاثر مؤتمر الجزيرة سنه ١٩٠٦ وقرر احترام استقلال مراكش وتكليف فرنسا بالمحافظة على النظام ، على انه في سنة ١٩١١ عاد النزاع على اثر ارسال فرنسا جيشاً لاحتلال عاصمة مراكش فقد اعادت المانيا احتجاجها وعززته بارسال اسطول الى (اغادير) لصيانة

اي ميناء في مراكش قبل البحث في انشاء خط من طنجة الى فاس

وفي عام (١٩١٤) وضع مشروع لنظام هذه المدينة قبلته فرنسا وامتنعت اسبانيا عن قبوله ، ثم جاءت الحرب العامة فانصرفت الدول عنه الى مشاغل الدفاع الوطني

ولما وضعت الحرب اوزارها وتنازلت المانيا بموجب معاهدة فرسايل عن حق التدخل في شؤون مراكش، حاولت فرنسا بسط سيادتها على طنجة، فاعترضتها اسبانيا وبريطانيا ودارت المفاوضات عامي (١٩٢١ — ١٩٢٢) لحل المشكلة فلم تسفر عن نتيجة حاسمة .

وفي سنة ١٩٢٣ تم الاتفاق بين هذه الدول الثلاث على نظام لطنجة في المؤتمر الذي عقد في لندن وهو يقضي بحياد (منطقة طنجة المراكشية) — وهو الاسم الرسمي الذي اعترف به زمن الحرب — وجعلها ميناء مفتوحاً لمتاجر الامم كلها . وبضم شقة من الارض من جهة طنجة الى المنطقة الاسبانية ، وبمنح منطقة طنجة المراكشية نظاماً ذاتياً واسع النطاق، ويجري فيها الحكم باسم السلطان بواسطة « بلدية دولية » ينتخب اعضاؤهم رعايا الدول الثلاث — فرنسا

المصالح الالمانية ، وكاد الامر يؤدي الى نشوب حرب اوربية لولا تغلب روح المسالمة والاعتدال ، وفي مؤتمر الجزيرة الذي عقد في السنة نفسها تقرر اطلاق يد فرنسا في مراكش لقاء تنازلها عن جزء من الكونغو الافرنسية الى المانيا

واسبانيا وانكلترا = ومن رعايا الدول الاخرى ذات المصالح فيها ، ويكون رعايا السلطان من العرب واليهود ممثلين فيها ايضا ، وتكون هذه البلدية تحت مراقبة مجلس يسمى (مجلس المراقبة) يؤلف من قناصل الدول ومن ممثل السلطان ، الى غير ذلك من المسائل



القسم الاول

مذكرات عبد الكريم

نشأته وتاريخه

نشأة عبد الكريم وسيرته

— طفولته وشبابه وكهولته —
المانيا واسبانيا يطلبان منه منذ
سنة ١٩١٤ مهاجمة فرنسا في
مراكش

لقد جرى الحديث بيني وبين الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي وشقيقه السي محمد عبد الكريم الخطابي على ظهر الباخرة (العبدة) التي كانت تقله الى منفاه ،. وكان ذلك في الثامن من شهر ايلول سنة ١٩٢٥

ولقد تلطف الرجلان في حوارهما وزادا ندى فتبسطا في بعض الحوادث التي كنت لا اجرأ ان اتناولها بالبحث معهما ، وكانا في تبسطهما يرغبان في اظهار الحقيقة التامة ، خدمة للتاريخ والحقيقة.

وكان عبد الكريم يفهم الافرنسية ، ولكنه لا يتحدث بها فكان يجيبني على كل سؤال اطرحه عليه باللغة العربية ، فينقل

الي جوابه النبي محمد وكان جوابه في اكثر الاحايين مقتضباً قصيراً .

ولكن عبد الكريم كان كثيراً ما يروح يتبسط في جوابه على بعض السوآلات مقاطعاً شقيقه متبسطاً في بعض الحوادث ، متلطفاً في تفصيل ما يريد اظهاره والترويج لاذاعته

وكنت في نهاية كل حوار ابسط للاخوين ما اقتبست من حديثهما طالباً تأييده والموافقة عليه .

وقد حدثني عبد الكريم في اول الامر عن نشأته وطفولته ودراسته وعلاقاته مع الاسبان وغير ذلك من الامور التي تخيرت لها مكاناً رحباً في هذه الفصول .

وسيرى القارىء ان عبد الكريم يعتقد ان اسبانيا هي السبب المباشر في حرب الريف .

وسيجد ايضاً انه يتهمها بالاتفاق مع المانيا على السعي لاثارة الثورة في مراكش الافرنسية ابان الحرب العامة

ونحن نترك له طبعاً ان يتحمل مسوءولية هذه التهم التي يوجهها وهذه الاراء التي يتبسط في التحدث بها وهو على مثل اليقين من صحتها

***

قال عبد الكريم :

« نحن من بلدة اجدر ، ومن قبيلة (روورياغل) في الريف ، وننتسب الى السي محمد بن عبد الكريم الحجازي الاصل ، وقد نشأ اجدادي في بلدة ينبع من اعمال الحجاز

وقد غادرت عائلتي موطنها في الحجاز وجاءت تستوطن مراكش في القرن الثالث للهجرة ، واقامت بين افراد قبيلة (روورياغل) وبذلك تكون البلاد الواقعة بين البحر وتارجيست هي مواطننا منذ الف من السنين »

وسكت عبد الكريم برهة ثم قال :

« ولا بد من القول انه برغم اغترابنا فانني واخي سنظل متعلقين كل التعلق بوطننا ، ونحن نعتقد ان فرنسا ستعمل فيه على استتباب الامن واستبحار العمران ، وتقدم الحضارة .

لقد توفي والدي عام ١٩٢٠ ، تاركاً ولدين السي محمد عبد الكريم وانا ، وساقص عليك في فترة اخرى غير هذه كيف انتقل الى رحمة ربه .

وامضينا حداثتنا في اجدر ، وكان والدي وعمي يتناوبان على تعليمنا ودراستنا

ثم ذهبت بعد ذلك الى تطوان ومنها الى فاس حيث قضيت سنتين في مدرسة العطارين اتأهب لدخول الجامعة الكبرى في القيروان .

رجعت الى بلدي وعائلتي في هذه الفترة ، ثم عدت كرة ثانية الى فاس لقضاء ستة اشهر أخرى .

ولم يكن ذهابي هذه المرة لاتمام دراستي فحسب ، فقد عهد الي والدي ايضاً بمهمة سياسية .

* * *

وكانت هذه المهمة عبارة عن تعريف حكومة المخزن بسياسة الريف واغراضه ونزعاته ، وكان علي اقناع حكومة المخزن باخلاص السي محمد لشي ، ووالدي لمولاي عبدالعزيز سلطان مراكش وقد تناولت كثيراً من المعلومات والاخبار من المخزن في هذه الفترة ، نقلت الي بواسطة وزراء ذلك العهد ، وكنت انقلها بدوري الى والدي ، وهي تتلخص في ضرورة محاربة الثائر بو حمارة .

كان والدي قد استبق الحوادث واخذ يبث الدعوة ضد هذا الثائر في طول الريف وعرضه ، ولم يكن والدي في الريف زعيماً سياسياً فحسب وانما كان قائداً حربياً ايضاً .

ومن ذلك الحين غدوت لا افارقه ، فاخذت عنه الكثير من من خططه الحربية ومعارفه العسكرية .

وكان حقاً على والدي لتتم له الغلبة على الثائر المذكور ان

يستعين ببعض زعماء الريف ، وما كان هؤلاء يندفعون الى عمل مشترك لولا اصرار والدي عليهم وافهامهم ان سياسة الثائر واهية العاقبة وان من مصلحة الريف ان يظل في سياسته ونظمه الحكومية تابعاً لحكومة المخزن .

وكان جماعة والدي يفوزون دائماً في المناوشات التي تقع بينهم وبين الزعيم الثائر حتى تمكنوا منه ، واكرهوه على الفرار ، وبذلك تنفس الريف الصعداء .

لكن هذه الراحة لم تدم طويلاً لان اسبانيا اخذت تمد اصابعها في الريف تحاول بسط سلطانها عليه .

* * *

وقبل ان اتناول بالبحث اعمال الاسبان في الريف ارى من واجبي الاشارة الى الاصابع الالمانية التي كانت تلعب في الريف ايضاً ، فقد عرضت هذه عليّ المساعدة ، ومن الحق ان اقول اني لم ارفضها باديء الامر ، لان الموقف في الريف كان غامضاً في اول الحرب العامة ، والدعاية ضد فرنسا كانت تروج بمهارة عظيمة ، وتعرض على الريف استقلاله وحريائه .

فلنبدأ بالتحدث عن الامور والاحداث وفقاً لوقائعها وظروفها في تاريخ الريف .

ذهبت الى مليلية حيث عينت معلماً في احدى المدارس الوطنية

وذلك في ابان ثورة (بو حمارة) ولم تمنعني مشاغلي المدرسية من زيارة والدي ما كان الى ذلك سبيل ، وكانت غايتي من هذه الزيارات ترمي الى الاطلاع على التطورات التي كانت تعتور الوحدة الريفية ، ثم لكي اتحدث الى والدي عن سياسة اسبانيا .

وبعد ثلاث سنوات عينت قاضياً لمحكمة مليله ، ثم قاضياً للقضاة في المنطقة كلها .

وفي سنة ١٩١٥ وهو الوقت الذي كنت لا ازال فيه قاضياً للقضاة حدث لي حادث خطير ، وهو صدور أمر السلطة الاسبانية بحبسي نزولاً منهم عند رغبة المارشال ليوتي بسبب العلاقات التي كانت بيني وبين رجل يدعي (فرنسيسكو فارل) وهو من اصل الماني ولم يكن الغرض من توقيفي ارضاء الافرنسيين فحسب بل لقد كان للاسبان في ذلك غرض ايضاً وفائدة ظاهرة .

اما علاقاتي مع فرنسيسكو الالماني الاصل فتتلخص في ان هذا الرجل راح يعرض عليّ - فيما إذا قمت بحركة ثورية ضد فرنسا في مراكش - كل المال اللازم والذخائر التي احتاجها .

واخذت عند ذلك افكر بالأمر الذي كان يغمر فوآدي من الوصول الى استقلال بلادي ، ولذلك لم ارفض طلب الرجل في أول الامر .

ثم أن موقف الاسبان كان يبعث على القلق خصوصاً واني

لم اكن كثير الايمان بانهم لا يتقدمون لاحتلال الريف ، وهو ما حملني على أن اطلب من فرنسيسكو ان يساعدني على انشاء فرقة مؤلفة من اربعة آلاف مقاتل تحمي الريف من كل اعتداء ، بينما اكون أنا اناوش الجنود الفرنسوية في مراكش ·

وقد عرف الاسبان بهذه المخابرات فاحالوني إلى مجلس عسكري ، وقد صدر الأمر بحبسي لاني اعترفت امام قضاتي برغبتي الثابتة في احتلال المنطقة الاسبانية ·

فسألت عبد الكريم قائلاً :

— لقد اشاعوا أن اسبانيا كانت تقدم الاعاشة اللازمة للغواصات الالمانية فهل هذا صحيح ؟

— ساجيبك على سؤالك هذا ، ولكن الذي يدهشني أن لا تكون حكومتك على تمام المعرفة بدخائل هذا الامر ·

فانه من الثابت ان الغواصات الالمانية كانت تأخذ اعاشتها وما تحتاجه من ذخيرة وسواها في (المينا) بواسطة رجال من الالمان يساعدهم رجال من الاسبانيين ·

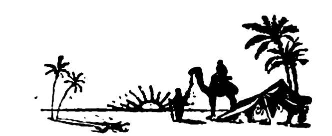
وأما السلاح فكان يصار إلى تهريبه بطريق مليله وتطوان وطنجة وهذا أمر كان معروفاً لدى كل واحد منا في ذلك الحين ·

وكان المسيو دي سوسثو قنصل اسبانيا السابق في (موجادور) والمتزوج بسيدة المانية والذي يسكن اليوم في طنجة ، رأس حركة

التهريب هـذه ، وهناك غيره وسواه من الضباط كانوا يقومون بذلك ايضاً ، واني على يقـين من أن كل موظفي الجمرك في مليلة كانوا متواطئين على التهريب ، وقد كان كثير من هذه الذخائر العسكرية ينقل بطريق البر إلى عبد المالك الذي كان ثائراً على الافرنسيين في ذلك الحين ٠

ولقد حاولت الهرب من سجني فلم أوفق و كسرت ذراعي ، فراح يعنى الاطباء الاسبانيون بتجبيره كل العناية ٠

وبعد اشهر من اعتقالي اطلق سراحي ، واخذ الاسبانيون يفكرون في مساعدتي ومدي بالذخيرة والرجال لمحاربة الافرنسيين ولكني كنت اعلم واجباتي نحو بلادي فقررت والحالة هـذه ان لا اقبل مهمة لا تتفق مع اغراضي ٠



— ٢ —

اسباب الحرب الريفية الاسبانية

كانت العلاقات بين والدي والاسبانيين مـدة اعتقالي هادئة حسنة ، وقد بدأ الاختلاف بيننا وبين الاسبان لما اخذ هؤلاء يفكرون باحتلال بلادنا باسم الحماية ، وكان والدي يطالب ويدعوا الى نظام مماثل للنظام القائم في البلاد الواقعة تحت النفوذ الافرنسي.

ويجب أن اقول أن والدي كان قد تفهم الفروق العظيمة بين السياسة الافرنسية والسياسة الاسبانية حتى انه راح يرفض طلب عبد المالك لما عرض عليه هذا العمل سوية ضد الافرنسيين، وكان عمله هذا دليلاً على تقديره للسياسة الافرنسية التي راحت تحافظ على العقائد والتقاليد الاسلامية في البلاد الواقعة تحت حمايتها.

وازيد على ذلك أن رفضه العمل مع عبد المالك ، واستنكاره محاربة الافرنسيين ، كان من الاسباب التي ادت إلى اطالة اعتقالي ولولا ذلك لاطلقني الاسبانيون من محبسي ولساعدونا بالمال والذخائر التي وعدونا بها ، كما ان الجنرال ازبورو الاسباني زار والدي قبل اعتقالي وحادثه بهذا الشأن ، ولما رفض والدي ما عرض عليه صدر

الامر بسجني ، ظناً منهم ان ذلك قد يضطر والدي إلى القبول بما يطلبون .

والواقع ان هذه التهم التي أوجهها هي امور واقعة ، فقد زارني الجنرال المذكور في سجني وافهمني بصراحة ان رفضنا العمل مع عبد المالك هو السبب المباشر في صدور الامر باعتقالي وحبسي .

والخلاصة انه بعد اطلاق سراحي سمحوا لي بالذهاب إلى قبيلتي حيث قضيت بينها عاما واحداً .

ثم رجعت إلى مليله ، ومع ان الاسبانيين كانوا يعرفون موقفنا منهم فقد راموا ان يعيدوني إلى مركزي كقاضي القضاة .

واما أنا فكنت قليل الثقة بهم ، ومع ذلك فقد بقيت في مركزي مدة سنتين .

وبعد حوادث الجنرال جوردانا انهارت كل آمالي وثقتي بسياستهم ، ذلك ان الموقف اخذ يضطرب اضطراباً عظيماً خصوصاً وان والدي كان ينكر السياسة الاسبانية في مراكش كل الانكار وكان قد صمم على عدم العمل معهم ابداً ، ولذلك راح يدعونا اليه ، وبخروجنا من المنطقة الاسبانية انقطع كل امل بالتفاهم بيننا وبين حكومة مدريد .

— ٣ —

السي محمد شقيق عبد الكريم

انتهى حديث هذا المساء مع عبد الكريم فطلبت من شقيقه السي محمد أن يتحدث اليَّ بشأنه فراح يقص عليَّ حديثه ببساطة عظيمة :

— ليس في نشأتي وماضيات ايامي ما يختلف كثيراً عن نشأة أخي عبد الكريم ، تلقينا دروسنا الاولى من والدي ثم ذهبت إلى تطوان ومليله ، ولما أخذت شهادتي الابتدائية انتخبت انا ورفيقين لاتمام تحصيلنا في موجادور على نفقة الحكومة إذ كنا من النابهين في الامتحانات الاخيرة ، ولما انتهيت بعد سنتين من الدراسة الابتدائية عينت معلماً ، ولما رجعت إلى مليله اجتمعت بالالماني فرنسيسكو وحضرت المحادثات التي جرت بينه وبين شقيقي والتي كانت نتيجتها الفشل كما تعلم .

ولما رجعت إلى اجدير علمت باعتقال شقيقي ، فرحت أعمل مع والدي في سبيل استقلال الريف وتحرره .

ثم رجعت إلى مليله للاستعداد لتقديم فحوص البكالوريا ولما

نجحت طلب مني الجنرال جوردانا أن اذهب إلى مدريد لا كمال علومي على نفقة الحكومة ففعلت وما كدت ادخل إلى مدرسة المعادن فيها حتى ابرق لي والدي بالقدوم ، نظراً لتوتر العلاقات بين الريف والاسبان ·

وقد اغتنمت فرصة وجودي في مدريد للتحدث مع بعض السياسيين الاسبان بشأن الموقف في مراكش والريف ، وقد استقبلني الملك بعد ذلك وسألني أن أعمل لمساعدة اسبانيا في ماتعتزمه من نشر الرفاهية والاطمئنان في مراكش ·

ولا ازال احفظ ذكرى جميلة لزيارتي لمدريد وقد استقبلت فيها وعوملت بمنتهى الود والصداقة ·

ولكني علمت بعد ذلك ان الاغراض السياسية الاسبانية لا تتفق واغراض والدي الذي كان يرغب في استقلال الريف وتحريره ·

وسيحدثك شقيقي غداً بما قام به والدي في سنتي ١٩١٩ و١٩٢٠ من اعمال للوصول إلى غرضه دون الخروج من موقف الحياد الذي كان قد اخذ نفسه به ·

— ٤ —

العسف الاسباني

عدت الى الاجتماع مع عبد الكريم وشقيقه في مساء اليوم الثاني (٢٩ آب) فرأيت على وجهي الاثنين مايدل على انهما قد اعتزما التحدث الي بصراحة تامة فقلت :

— لقد وقفنا بحديثنا البارحة عند حوادث سنة ١٩١٩ فقال عبد الكريم :

— هذا صحيح ٠

وكان عبد الكريم يتكلم بالعربية وشقيقه السي محمد يترجم له .

— لقد كانت رغبة والدي في سنتي ١٩١٩ و ١٩٢٠ تقوم على التفاهم ، وان لا يخرج عن الحياد الذي ارتضاه لنفسه ٠

ولكن الاختلاف كان يشتد بينه وبين الاسبان ، وكان يرى في كل يوم اشارة جديدة تدل على بعد الشقة بين ذهنيتهم وذهنيته ، حتى اصبح على مثل اليقين بان الاسبان لن يستطيعوا خدمة الريف والعمل على فلاحه ونجاحه ابداً ٠

ثم اني وشقيقي قد عشنا بينهم ما يقرب من عشر سنوات وهذه كانت وافية لنفهم فيها مبلغ ضعفهم وعجزهم عن فهم العقلية الاسلامية ، وليس هناك كلمات تفي في تصوير شدتهم وعسفهم ، ولقد تعجب لهذا الكلام ، ولكن اليك البرهان القاطع على صحته وحقيقته ، هذه صور تمثل لك بعض الجنود الاسبان يحملون في ايديهم رؤوس بعض المحاربين من الريفيين ، انظر الى امارات الفرح التي تغمر وجوه هؤلاء لتعلم يقيناً انهم كانوا يجدون سروراً عظيماً في هذا التمثيل في الاموات الذي لا تقبله مدنية ولا تجيزه شريعة من الشرائع ، وهل بمثل هذه الوسائل يريد الاسبان تمديننا وتعليمنا !!!

ومع كل هذا فان والدي كان معتزماً البقاء على حياده حتى الساعة الاخيرة ، ولقد تحدث الينا بذلك سنة ١٩١٩ قائلاً :

— اني افضل الحياد والسلام ، وإذا لا سمح الله واراد الاسبان الاستيلاء على الريف ، فاني افضل النزوح عن بلادي والالتجاء إلى فاس أو غيرها من البلاد الواقعة تحت الحماية الفرنسية ، على محاربة الاسبان ، وجلب الشقاء والبؤس لامتي وشعبي .

ولكن هذا الموقف لم يرض الاسبان ، الذين كانوا يريدوننا تحت اقدامهم ، وكانت كل الوسائل حسنة عندهم لاضعاف نفوذ والدي ، وكان في ذلك الوقت سيد قبيلة (روورياغل) فراحوا

يتهمونه بكل حادث لا يتصل به مباشرة ، وليس له علاقة به ، أو خارج عن سلطته وصلاحيته ، فاذا حدث في الريف سرقة او اجتماع سياسي ، أو جناية قتل ، فأن المسؤول عن ذلك كله هو والدي .

وكان غرضهم من ذلك الترويج بان حياد والدي ليس الاّ صورة مصطنعة ، وانه في الحقيقة يعمل على الثورة ويدفع الناس لكل انواع السرف والشغب .



– ٥ –

سعى الاسبان للاتفاق مع والدى

وتقرب الريفيين من فرانسا

لقد دلت السياسة الاسبانية على ان رجال الحكم في مدريد وغير مدريد يجهلون العقلية الريفية والذهنية الاسلامية كل الجهل ، وقد ظهر لهم ما يتعرض له نفوذهم من انهيار واضمحلال بعد مدة قليله من الزمن فحاولوا تبديل سياستهم ، وراحوا يكتبون لي كتاباً في سنة ١٩٢٠ يطلبون مني فيه ان اعود الى مركز القضاء في مليله ، كما عرضوا على شقيقي ان يذهب الى مدريد لاتمام دراسته في جامعاتها وقد كتبوا الى والدي كتاباً بهذا المعنى ايضاً .

فاجاب والدي على هذا الكتاب باسمه وباسم أولاده ، قائلاً : ان اولادي لن يعودوا اليكم إلا إذا اعتزم الاسبان على العمل حقاً معنا والنظر لسياستنا الاستقلالية بعين الاعتبار والتأييد .

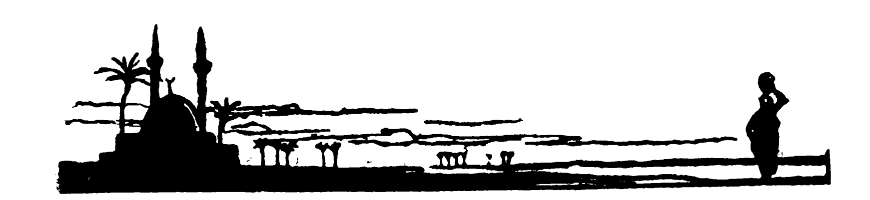
وهل صحيح ان اسبانيا تريد اقرار نظام الحماية أم لا ؟

واذا كان الأمر بالايجاب فاني مستعد لارسال اولادي

اليكم ، اما اذا كان الجواب (بلا) فاني اظل على حيادي .

ولم يكن في هذا الجواب ما يرضي القيادة الاسبانية العامة في مراكش ، فارسلوا له رجلاً من انصارهم كي يقنعه ويتعرف على اعماله ، فعرف والدي بغرض الشخص المذكور ، فكان جوابه على سؤاله مبهماً غامضاً مما اضطر الرسول الى العودة إلى مرسليه فاشلاً ، وقد تملكه الغضب والحنق علينا .

ولما سألت عبد الكريم عما إذا كانت له علاقات في هذا الوقت مع دولة اجنبية ، قال : كلا ، ذلك ان الوقت لم يكن ملائماً لهذه المخابرات .



— ٦ —

دعاية سيئة

غضب الاسبان لفشل رسولهم في حمل والدي على تغيير رأيه، وتبديل وجهة نظره ، فراحوا بمساعدة هذا الرسول الذي يدعى (سليمان الخطاب) يثيرون الدعاية السيئة بين القبائل المؤيدة لنا بمساعدة رسولهم واتباعهم وانصارهم .

واخذوا يقبضون على افراد قبيلة (روورياغل) وهي قبيلة والدي من الذين كانوا يسكنون في مليله ، كما اخـذوا ينصرفون إلى حرق المنازل والاكواخ في المزارع الخاصة بافراد هذه القبيلة ، وهم يروجون قائلين :

— ان والدي هو المسؤول عن هذه الرزايا التي تنزل برجال قبيلته بسبب تشدده وموقفه .

وكانت هذه الامور التي لم يكن يدعو اليها سبب من الاسباب تخالف القوانين المرعية وانظم الانسانية العامة ، مما حمل والدي على الاحتجاج إلى الجنرالين المسؤولين عن القيادة العامة في مراكش الاسبانية قائلاً :

« ما هي الاسباب التي تدفعكم إلى هذه الاعمال ، التي لاموجب لها ، والتي تخالف النظم والقوانين المرعية ، انتم تعرفون رغبتي في الوقوف على الحياد ، فلا انزل إلى السوق ولا أذهب إلى المساجد . »

فكان جواب الاسبان على كتابه هذا ، أن راحوا يعلنون ان والدي قد اعترف بخذلانه ، وطلبوا من الريفيين اعتزال هذا الثائر الذي اصبح على الارض .

فلما رأى والدي ذلك قرر ان يترك عزلته ، وان يبرهن للاسبان ان بطوقه ليس فقط رد الاسبان بل رميهم في البحر ايضاً .



٧

والد عبد الكريم ينظم الثورة

ترك والدي عزلته ، واخذ يدعو الى الثورة في طول الريف وعرضه ، فكنت تراه في الاسواق والمساجد وبين القبائل يدعوهم الى الثورة على الاسبان ، ومحاربتهم اذا ما حاولوا التقدم نحو الريف واحتلاله ، وقد تمكن في اول الامر من جمع مائتي مقاتل حوله

ومع ذلك فانه لم يندفع الى مهاجمة خصومه الاسبانيين ، ولا راح يسمح بان تكون الرصاصة الاولى صادرة عنه او عن رجاله ، بل ترك للاسبانيين انفسهم ان يكونوا البادئين ، كما انه لم يقفل باب الاتفاق فتركه مفتوحاً لرجال السياسة اذا طرقوه وجدوا البـاب مفتوحاً على مصراعيه .

وكان الغرض الذي يرمي اليه ان يلقي في روع الاسبان انه قوي وانه يعرف ان يضرب في الوقت المناسب . وهو ما حمله على ان يجمع رجاله امام تفريست حيث تقوم على مقربة منها مراكز اسبانية تحافظ على الخط الحديدي الذي يتصل بمليله

وبينما كان عبد الكريم يتكلم كنت افكر في مركز تفريست وكيف انها شديدة الخطورة حقاً ، تستطيع قوة ريفية صغيرة ان تزعج القوات الاسبانية القريبة منها ، وان تثير عليها القبائل التي تنبسط حولها

وكان والدي لوحده امام تفريست ، اما انا وشقيقي فقد كنا في اجدير ننظم الشؤون ونرتب اسباب الثورة ، ونستعد للعمل الحربي الذي كان قريباً جداً . ذلك اننا كنا على ثقة من استحالة التوفيق بين الريف والاسبان ، وقد دلت ماضيات الايام على ان هذه الفكرة اقرب الى الخيال منها الى الوقائع المقررة



٨

موت والد عبد الكريم

وقف والدي برجاله امـام تفريست اثنين وعشرين يوماً ثم سقط مريضاً .

وكثيرون هم الذين يقولون ان والدي سقي سماً ، وانا وان كنت لا استطيع تأكيد ذلك ، الا انني اشعر في اعماق قلبي ان في هذا القول كثيراً من الحقيقة

ودام مرض والدي اثنين وعشرين يوماً ثم توفي في اجديروقد ظن الاسبان في اول الامر ان موت والدي سيثير انقلاباً او ثورة في الريف ، ولكن شيئاً من هذا لم يقع .

ذلك ان اكثرية الريف كانت معه ، وبعد وفـاة والدي قام محمد طحان بقيادة القوة الريفية امام تفريست ، وكان المرحوم قبل وفاته قد دعانا اليه وقال لنا:

« اذا لم تستطيعوا الدفاع عن استقلال الريف وحقوقه فغادروه الى مكان غيره »

ومع خطورة الموقف فقد اتفقت وشقيقي على ان نعمل المستحيل

لاجتناب الحرب ، حتى اننا قررنا بعد وفاة والدي بيومين ان نكتب الى القيادة الاسبانية نسألها الاقلاع عن سياستها الخرقاء ، والاتفاق معنا على حكم الريف حكماً يساعده على التقدم ويغمره طمأنينة وسلاماً

وكنت انظر الى عبد الكريم خلال حديثه فاشعر انه مخلص في حواره وانه حقيقة كان يرغب في السلام في تلك الفترة.

قدمت له سيكارة فتناولها وقام يسير في الغرفة جيئة وذهوباً ثم راح يقول :

— لماذا كانت اسبانيا شديدة التعصب تريد اثارة الحرب الدينية ... ثق بانها كانت تعمل لخرابها في هذا الوقت

ثم ما الفائدة من الحرب ؟ ألسنا جميعاً سندخل باباً واحداً ، وكل واحد منا سيصيبه الموت !

وكان عبد الكريم ينظر الي يحاول قراءة افكاري ، وقد غمره حديثه فراح يحاول التحدث عن موسوليني وبريمو دي ريفيرا والسياسة الاسلامية

اما شقيقه فكان هادئاً ساكتاً ، لقد كان حقاً يخيفني اكثر من شقيقه الثائر

ثم عاد عبد الكريم الى حديثه فقال :

— والواقع اننا بسبب السنوات العشر التي قضيناها انا وشقيقي

في ملقه ومدريد كان بعض الريفيين يتهموننا باننا من انصار السياسة الاسبانية ·

وقد رحنا مدة ستة اشهر نعمل المستحيل للقضاء على هذه الدعاية السيئة التي بثت ضدنا وروجت للقضاء علينا

وفي اواخر سنة ١٩٢٠ واوائل سنة ١٩٢١ عين الجنرال سيلفستر قائداً على مراكش الاسبانية ، وقد جربت عند قدوم هذا الجنرال ان اقنعه بضرورة الاتفاق معنا ، فلم اوفق

سألت عبد الكريم قائلاً :

— من اين كنت تتناول حاجتك من المال في اول هذه الثورة ؟ ومن اين كنت تأتي بالذخيرة والبنادق ؟

— انت تعلم ان الريفيين يعيشون من لا شيء ، وتعلم ايضاً ان السلاح كان موجوداً عند اكثر الناس في الريف ، كما ان شرائه كان امراً هيناً ، حتى اننا كنا نشتريه احياناً من بعض الجنود الاسبانية بالاقل من المال

اما المال فكنا نجمعه من الضريبة التي فرضناها على السكان ومن الفدية التي كنا نضطر الحكومة الاسبانية لدفعها لاسترجاع الاسرى الذين كانوا يسقطون في ايدينا ، وهذا القليل من المال كان يكفي لقوتنا الصغيرة

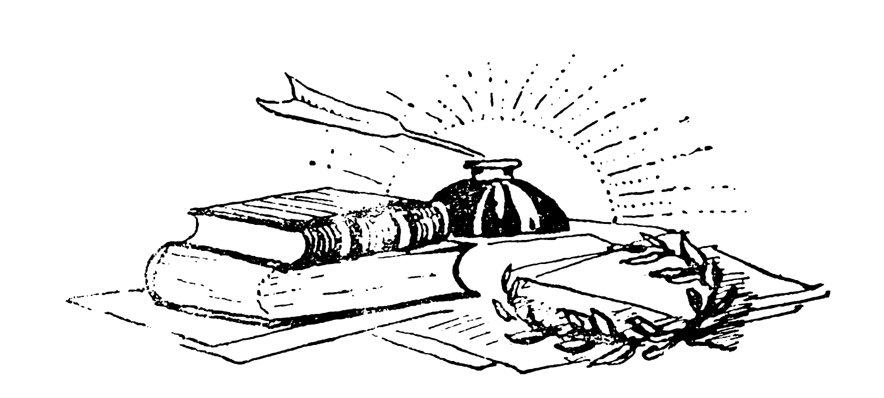
فسألته : اصحيح ما يقال من انك كنت تحقد على الجنرال

سيلفستر لانه صفعك لما كان في مليلا ؟

فقال عبد الكريم :

— هذا كذب وبهتان ، وكذلك كذب وبهتان الخبر الذي اشاعوه من اني قطعت لحيته بعد موته ، وساقص عليك غداً كيف مات الجنرال سيفسلتر

فالى غد ، على انه لا يجب ان تذهب قبل ان تعرف انفكر الجمهورية الريفية كانت قدنشأت في هذا الوقت



— ٩ —

اسبانيا تعرض عشرين مليون بستا

على عبد الكريم ليحارب فرنسا

نحن الآن في الثلاثين من شهر آب ، وقد عدت الى الاجتماع بعبد الكريم وشقيقه في جنح الظلام ، وعبد الكريم ما يزال يذكر حبه للسلام ، وسعيه للاتفاق مع اسبانيا ، وكيف انه قد راح يتحدث بذلك الى الجنرال سيلفستر والكولونل موورليا

رحت اسأله سؤالا حاولت فيه تحديد المسؤولية في هذه الحرب فقلت :

— لقد كنت البارحة تحدثني عن مواقف رجالك امام تفريست ، التي كانت تحتلها قوة كبيرة من الاسبان ... فهل قمت انت بهجوم عليهم ؟

ام انك هوجمت منهم ؟

فسكت عبد الكريم برهة ثم قال :

= لقد كان امر الهجوم على المراكز الافرنسية يتعلق بي ولكنني رفضت

ومن الحق ان احدثــك الان عن شخص لعب دوراً عظيماً ــفي المسألة الريفية ، وقد ذكر اسمه مراراً فيهــا ، وهو (انشفارياتا)

وقد تمكن الاسبانيون من المتقــدم قليلاً على خط سيديــي ادريس — انوال — تفريست ، نظراً لضعف القوة التي كانت امامهم ، واستفز هذا التقدم القليل غرور الجنرال سيلفستر فراح يفكر في التقدم الى الريف ، ولما كانت قوتنا الضعيفة لاتستطيع الوقوف في وجه قواته فقد نجح طبعاً ، واثار تقدمه هذا في البلاد الريفية غضباً ونقمة عظيمتين واتهمنا البعض بعدم اتخاذ الاستعدادات اللازمة وانا نعمل للمصلحة الافرنسية

وكان الاسبان انفسهم هم يروجون هذه الشوائع ليحملونــا على مهاجمة الافرنسيين ، وفي هذا الوقت ظهر الرجل الذي ذكرت لك اسمه وهو (انشفارياتا) وقد راح يطلب منا في باديء الامر ان نسمح للاسبان بالتقدم قليلاً الى البلاد الريفية ، ولكن الغرض الاساسي من زيارته كان غير ذلك ، وكان هذا رجلاً يعمل باشارة الجنرال بريمو دي ريفيرا ، لانه طلب مني بعد ذلك الاتفاق مع اسبانيا ومهاجمة فرنسا

وقد اجتمعت مع هذا الرجل غير مرة ، وكانت خلاصــة مطالبه تنحصر في السماح لاسبانيا باحتلال بعض الاراضي الريفية

ثم الاتفاق مع اسبانيا لمحاربة فرنسا مقابل مبلغ عظيم من المال قدره ٢٠ مليون بستة وكل الذخائر والمواد الحربية التي انا بحاجة اليها

وقد طلب مني الاسراع في قبول شروطه قائلاً :

« ان واجبي يقضي علي بمهاجمة الافرنسيين الذين هم اعداء الريف »

ولكنني كنت كثير الشك والحذر من مطالبه واغراضه فاعرضت عن قبول شروطه

ثم رأيت ان الحكمة تقضي بذهابي الى رجال قبيلتي (روررياغل) والقضاء على الاشاعات التي كان يروجها الاسبان ضدي ، ولكنني قبل القيام بذلك علمت ان الاسبانيين احتلوا (دارابارا) وكان هذا مركزاً حربياً مهماً ، فقررت حالاً دفعهم عنه ، ولم يكن لدي غير ثلاثمائة مقاتل ، ذهبت بهم الى المكان المذكور ، وتمكنت من طرد الاسبانيين منه بعد معركة شديدة ، سقط فيها من الاسبان ثلاثمائة رجل وغنمنا كثيراً من البنادق والمدافع والذخيرة

قلت ان الاسبان خسروا ثلاثمائة رجل والحقيقة انهم خسروا اربعمائة بينهم ستة ضباط

ولقد كان لهذا النصر تأثيره العظيم في طول الريف وعرضه ومما يجب ان اقوله هو ان الاسبانيين انفسهم لم يكونوا ينتظرون

هجومنا فلم يحتاطوا للامر كل الاحتياط

لقد اهتز الريف لهذا النصر فرحاً وتقاطر رجاله وقبائله يعرضون تأييدهم و يطلبون ان يسمح لهم بالقتال وطرد الاسبان من البلاد التي احتلوها في ارض الريف فرحت اقوم بالمستحيل لافهامهم ان هجوماً جديداً لا يجب ان يصار اليه دون ما استعداد مخافة ان يضيع التأثير العظيم الذي ربحناه من انتصارنا الاول ، ثم امرت رجالي بتحصين المراكز التي ربحناها وعدم التعرض للعدو دون ما امر مني ٠

وعلى اثر هذا النصر الذي تحدثت لك عنه ، انذرني الجنرال سيلفستر بالانسحاب من المواطن التي انا فيها، كما طلب مني ان اسلم له قتلاه من الجنود والضباط ٠ فكان جوابي على انذاره ان ما يطلبه غير مستطاع ٠ فاراد الجنرال سيلفستر ان يظهر لي قوته، فراح يهاجمني في جهة (سيدي بيان) في الشمال الغربي من انوال وعلى مقربة منها

فلم يوفق في هجومه ، وكانت خسارته — وفاقاً للمعلومات التي وصلت الينا = ٣١٤ قتيلاً ، واما نحن فخسرنا سبعة عشر من رجالنا

وفي هذا الوقت كان مركز قيادتنا في قرية من ارض التمسمان ، وكان عدد رجالي يقدر بالف مقاتل جلهم من بني

(روریاغل) وبني توزين ، لم نكن قد اخذنا نستعمل المدافع التي غنمناها من الاسبان ، بل اكتفينا موقتاً بوضعها في مكان امين .

واخذ الاسبان يجمعون جنودهم في جنوبي (انوال) وكانت انوال المركز الحربي والعسكري للجنرال سيلفستر والذي اعلمه ان هذه القوة الكبيرة من الجند التي كانت تحت قيادة الجنرال المذكور لم تكن في حالة روحية حسنة ، بل كانت مضطربة تخشى ثورة القبائل حولها في كل وقت وآخر ، كما ان معيشة الجند لم تكن مرضية ، وكانت كثيرة النقص

وعندئذ رأيت ان اقطع خط المواصلات على هذا الجند فامرت رجالي فاحتلوا (تيزي ازا) فاضطرب الجنرال سيلفستر لذلك وامر رجاله بالخروج لمهاجمتي ، وكانوا يعدون ثلاثين الف مقاتل بين فرسان ومشاة ، ولم يكن لدي غير عدد صغير من المقاتلين ، ولكنني كنت على ثقة من نصرة الريفيين وتأييدهم لرجالي .

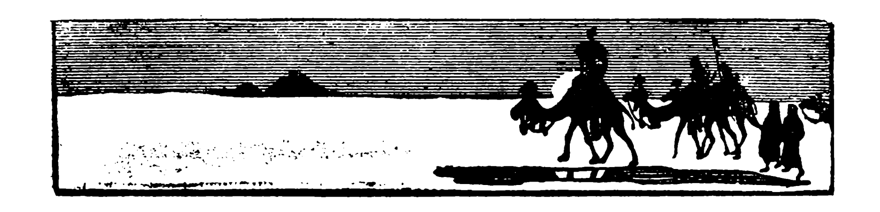
وقد دامت المعركة من ٢١ ــ ٢٦ تموز

فقلت لعبد الكريم :

ــ ألم يكن لديك اركان حرب يساعدك في هذه المعارك التي كنت تقاتل فيها جنداً منظماً؟

فضحك عبد الكريم وقال :

ـ كلا ... كلا ، ألم اقل لك ان الجرأة وحسن التصرف يكفيان لقيادة الجند في المعارك ، والواقع انني كنت اجد نفسي اقدر وابرع في قيادة رجالي لمحاربة العدو، مني في التحدث والاتفاق مع الاشخاص الذين كانوا يأتون لمقابلتي في كل وقت وآخر ، وكل يعرض علي نصائحه وخططه



١٠

معركة انوال

لقد كانت المعركة شديدة ، يهجم فيها الجنرال سيلفستر كل يوم ، وهو في كل هجوم اكثر عنفاً وشدة من قبل

ولكن جنودنا كانوا متحصنين ونظراً لقلة عددهم لم يكن يستطيع العدو ان يراهم ، بينما كنا نرى العدو لكثرة عدده واضطراره في كل يوم الى القيام ببعض المناورات التي تستبق كل هجوم فكانت بنادقنا تصيب من افراده مقتلا ، وكنا في كل يوم نقع على زخيرة وبنادق جديدة

وفي اليوم الخامس والعشرين من شهر تموز اضطر العدو الى اخلاء احد المراكز الذي كان قد استولى عليها قبلاً ، وقد غنمنا في هذا المركز عدداً من البنادق والذخيرة ، كما تمكنا من اخذ بعض الاسرى الذين لم يزد عددهم عن العشرة على ما اذكر ، وغنمنا ايضاً بعض المدافع الصغيرة

ولقد كانت المعارك التي دارت في هذه الايام الستة سيئةعلى الاسبانيين الذين كانوا يضطرون لانقاذ ذخائرهم الى مهاجمة رجالي

كرة بعد كرة فكانوا والحالة هذه يستهدفون لرصاص بنادقنا التي كانت تصيبهم بخسائر جسيمة

وفي صباح اليوم السادس والعشرين اصبح انكسارهم امراً محتوماً لا مناص منه

وعندئذ اصدر الجنرال سيلفستر الامر باخلاء انوال وكل المراكز التي حولها .

ولو ان الجنرال لم يصدر امره هذا ، لما كان بامكاننا ان نهاجم رجاله بالقوة والعزيمة والجرأة التي اظهرناها بعد ذلك ، ولكن هل كان بامكانه ان يفعل غير ذلك وان يظل مكانه !؟

لقد ظهر لي في ابان هذه المعركة ، وعند كل تقدم يقوم به رجالي ان الجنرال وجنده مقضي عليهم لا محالة ، وذلك لثورة القبائل عليهم ، ولاغتنام رجالها هذه الفرصة السانحة للانتقام من الاسبانيين وسياستهم الخرقاء

ولما اخذ الجيش الاسباني يتقهقر ، لم يعد رجالي بحاجة الى سلاحهم لان التقهقر كان هرباً مريعاً ، وكان الجند الاسباني قد اصبح في حالة روحية من الصعب ضبطها ، حتى ان رجالي لم يكونوا ليصدقون عيونهم لما رأوا هذا التقهقر والارتباك في اول الامر

لقد سقط بانسحاب الاسبانيين ما يقرب من مئة مركز

حربي بايدينا.

وكانت الطريق مليئة بالقتلى والجرحى

واخذ الاسبانيون ينسحبون بدون انتظام الى جهة مليله

وكانت حماسة رجالي شديدة حتى اني لم استطع منعهم من الاجهاز على الجرحى الا بتهديد من يفعل ذلك بالموت

وقد غنمنا من فاجعة انوال مائتي مدفع من مختلف الاجناس وعشرين الف بندقية ، وكميات وفيرة من الذخائر والمعدات الحربية ، وما يقرب من مليون خرطوشة ، وسيارات وكميونات وغير ذلك مما يحتاجه جيش كبير

والخلاصة ان اسبانيا قدمت لنا في ايام كل ما نحن بحاجة اليه من الذخائر لتأليف جيش قوي وتغذيته مدة اشهر

اما عدد الاسرى فكان سبعمائة شخصاً

اما خسارة الاسبان في الرجال فكانت خمسة عشر الف جندي

اما مقتل الجنرال سيلفستر في هذه المعركة فلا ادري كيف وقع تماماً ، ولكن الذي اعلمه ان احد رجالي جاء يخبرني انهم عثروا على جثة جنرال بين افراد الجند ، فلما ذهبت الى المكان الذي اشار اليه وجدت الجنرال سيلفستر ميتاً مع بعض اركان حربه

وعلى أثر ذلك أرسلت بعض الاسرى الى أنوال والبعض ألآخر الى أجدير ، واخذنا نطعمهم من الذخيرة التي غنمناها من الجيش ألاسباني ، ولولا ذلك لتألموا من قلة الطعام .



– ١١ –

معركة عريت

لم تقف المعارك عند الفشل العظيم الذي اصيب به الاسبان في معركة انوال ، ذلك ان مطاردة الريفيين للجيش الاسباني المتراجع كان شديداً سريعاً قوياً ، وفي نهاية الاسبوع الاول من شهر آب انقلب هذا التراجع الى انكسار فادح بمعركة (عريت) التي سقط فيها الجنرال نافاروا وبعض الضباط اسرى في ايدينا .

وكانت المذبحة هائلة مفجعة .

ولولا اوامري الشديدة بعدم قتل الاسرى وتهديد من يفعل ذلك من الريفيين بالموت ، لبلغت المذبحة في هولها حداً عظيماً

ولما اخذ يتقدم رجالي الى الامام ، وفي المواقع التي كان يحكمها الاسبان وجدوا امامهم مشهداً هائلاً من الجثث والقتلى .

ولما راحوا يسألون رجال القبائل الثائرة عن الاسباب التي حملتهم على الاجهاز على الجيش وعدم اخذ افراده أسرى ، كان جوابهم ان الأسبان قد تولوهم بالعسف والظلم والقتل والاضطهاد

سنوات عديدة حتى لم يبق بامكان أحد منهم الصبر والسكوت عن اخذ الثأر .

وبانتهاء معركة (عريت) اصبحت على مقربة من مليلة - فوقفت عندها ، ولم انقدم اليهـا واحاصرها ، لان جيشي كان في أول نشأته وكان الحذر وعدم التورط في امور حربية مجهولة مصايرها يدفعني إلى ترك المدينة وشأنها .

ولما علمت ان الحكومة الاسبانية قـد اخذت تعد المعدات لارسال جيش قوي إلى مراكش ، رأيت من الحكمة الرجوع إلى جيشي ، والعمل لتنظيمه وتقويته وتعزيزه ، وان أطلب المعونة في ذلك من كل قبائل الريف .

وقد اصـدرت كذلك اوامري إلى جنودي بمعاملة الاسرى معاملة حسنة ، وهو ما افتخر به ، ولا آسف له ، كما امرتهم بعدم التعرض لمليلة ، مخافة احداث مشاكل دولية .

واني آسف لذلك ، فان هذا الامر كان خطأً كبيراً مني -



- ١٢ -

المناداة بعبد الكريم اميراً على الريف

أجل لقد أخطأت خطأً عظيماً بعدم اقتحام مليلة ، فقد كان بامكاني دخولها دون ما معارضة قوية ، و كان رجالي في ذلك الحين قد غلبهم المرح والزهو بانتصاراتهم على الاسبانيين ، حتى لقد راحوا يحسبون مهاجمة مليلة نزهة وملهاة .

لقد كان ينقصني في هذا الوقت مايسمونه (بعد النظر السياسي) خصوصاً وقد ظهر لي بعد ذلك ان الاخطاء التي وقعت كان سببها عدم استيلائي على هذه المدينة ، وقد كان بامكاني ان أفعل ما أُريد وان اطلب من رجالي كل تضحية بعد ما بايعوني بالامارة وانتخبوني اميراً على الريف .

***

نقف الآن عن متابعة مذكرات عبد الكريم ونتناول في هذا الفصل امور التشكيلات الادارية والسياسية التي قام بها عبدالكريم في الريف بعد انتصاراته العظيمة على الاسبانيين فنقول:

رأى عبد الكريم بعد انتصاراته على الاسبان أن أحسن وسيلة لنجاح القضية الريفية . وبقائها على الايام هو في ايجاد أساس متين لبنائهـا بجعلها حركة قومية عامـة يشترك فيها الشعب في ادارة دفة الحركة والحكم فدعا القبائل والاهلين إلى عقد اجتماع عام في معسكره ، فلبى السواد الاعظم دعوته عن طيبة خاطر ، وتقاطروا على معسكره زرافات ووحدانا ، وهناك وقف الامير خطيباً بينهم ، فاستهل خطابه بنبذة تاريخية عن علاقات اسبانيا بالعرب في الاندلس والمغرب ، وأبان لهم الاعمال الهمجية التي قام بها الاسبان في البلاد المراكشية وغايتهم من بسط نفوذهم عليها ، ثم تدرج إلى ذكر الاسباب التي حملته على القيام في وجه الظالمين وبسط بايضاح المثل الأعلى الذي يصبو اليه ، وطلب اليهم الاتحاد والتضامن وشد أَزره للوصول إلى الفوز والفلاح ، ثم اقترح أَن يتذاكروا في الامر ويبينوا له آراءهم وافكارهم بكل جلاء ووضوح فاتفق الجميع على الجهاد والدفاع إلى آخر نقطة من دمائهم ورأوا أن اضمن طريق للفلاح هو تشكيل مجلس عام يكون المرجع الأعلى ، بحيث يضع برنامجاً للسير عليه ، ويؤلف حكومة وطنية تدير شؤون البلاد ، وتضع الانظمة والقوانين .

وقد تشكلت الجمعية الوطنية أو المجلس العام على الطريقة المتبعة في المغرب الاقصى من جماعات القبائل والاهلين ، وهم الاعيان

والمشايخ والولاة ، فكانت هذه الجمعية هي الممثلة لارادة الامة وهي التي تولت تنظيم الجهاد الوطني وادارة شؤون البلاد .

وعقدت الجمعية الوطنية الريفيــة اجتماعها الاول في بدء سنة ١٩٢١ فكان قرارها الاول اعلان استقلال البلاد وتشكيل حكومة دستورية جمهورية يرأسها الامير محمد عبد الكريم زعيم الثورة فتم ذلك في يوم ١٥ المحرم سنة ١٣٤٠ (١٩٢١) .

ثم وضعت دستوراً للبلاد مبدؤه سلطــة الشعب ، وجعل السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية في يد الجمعية الوطنية أي انه لم يفصل بين السلطتين وفاقاً للقواعد الدستورية الاوربية ، وجعل رئيس الجمهورية رئيساً للجمعية الوطنية ، ويحتم على كل شيخ وزعيم وقائد من اعضاء المجلس تنفيذ المقررات التى تقرها الجمعية ، وهولاء مسؤولون عنها تجــاه الرئيس بصفته رئيس الحكومة ، والرئيس مسؤول عنها ازاء الجمعية ، وقد اختارت الجمعية هذه القاعدة في دستورها وفاقاً لتقاليد البلاد وعاداتها .

أَما الوزارة فقد نص الدستور على تشكيل أَربعة مناصب منها فحسب وهي مستشار رئيس الجمهورية ـ وهو يقوم مقام رئيس الوزارة ـ ووزير الخارجية ، ووزير المالية ، ووزير التجارة واما بقية الاعمــال كالداخلية والحربية فقد جعلها الدستور من خصائص رئيس الجمهورية .

ثم شرعت الجمعية الوطنية في وضع ميثاق قومي يكون المثل الأعلى للشعب في جهاده ونضاله فأقرت بعد جلسات متتالية الميثاق القومي الآتي :

١ ـ عدم الاعتراف بكل معاهدة لها مساس بحقوق البلاد المغربية وبخاصة معاهدة ١٩١٢

٢ ـ جلاء الاسبان عن المنطقة الريفية التي لم تكن في حوزتهم قبل ابرام المعاهدة الاسبانية الفرنسوية سنة ١٩١٢ ، فلا يبقى لاسبانيا سوى سبتة ومليلة وما يجاورهما من الاراضي

٣ ـ الاعتراف بالاستقلال التام للدولة الريفية الجمهورية

٤ ـ تشكيل حكومة جمهورية دستورية

٥ ـ أن تدفع اسبانيا تعويضاً للريفيين عن الخسائر التي لحقت بهم من جراء الاحتلال في السنوات الاثني عشرة الماضية ، وفدية للاسرى الذين وقعوا في يدهم

٦ ـ انشاء علائق ودية بين كافة الدول دون ما تمييز وعقد محالفات تجارية معها

واختارت الجمعية علماً لدولتها الجمهورية الريفية أرضه حمراء وفي وسطه نجمة خضراء سداسية ضمن هلال في رقعة بيضاء .

وهذه الالوان الثلاثة رمز تاريخي لأعلام عربية قديمة : فاللون الاحمر كان شعاراً للحجاز قبل الاسلام وما زال راية الاسرة

الشريفة فيها التي منها سلاطين المغرب اليوم ، وفي كتاب تاريخ الدول العربية أن الحميريين اتخذوا هذا الشعار وان امرأ القيس بن حجر لما بلغ القسطنطينية كان يحمل اللواء الاحمر .

واللون الاخضر هو شعار أهل البيت النبوي الكريم والفاطميين . أما اللون الابيض فهو شعار الامويين في الشام والاندلس

ونص الدستور الريفي على جعل (أجدر) عاصمة للجمهورية الريفية ومعسكراً لجيشها ، وهذه البلدة رغماً عن كونها عاصمة لا يزيد طولها عن ميلين ، وعرضها عن ميل بادئ بدء ، قد اتسعت حتى صارت بلدة كبيرة ، وهي تقع في بقعة جبلية تشرف على وادي (الحصماص) .

في هذه البلدة يقيم بطل الريف في منزل لا يمتاز عن منازل البلد بشيء الا بكثرة الداخلين اليه والخارجين منه من الرسل واصحاب المصالح ، ومن هذا المنزل تصدر الأوامر بحشد الجيوش وتنظيم الاعمال .

أما غرفة استقبال الامير التي خرجت منها شعلة أضاءت ارض الوطن والهبت قلوب بنيه والتي هي محط انظار الامة وهيكل تاريخها وهي غرفة عمله أيضاً ـ فانها لا تزيد مساحتها عن عشرين قدماً مربعاً ، ولا يزيد ارتفاع جدرانها عن ستة اقدام وقد نشرت على جدرانها خريطتان اسبانيتان لبلاد الريف وأما أرض الغرفة فمفروشة ببساط وفيها كراسي ومنضدة من الخشب عليها رسائل وتحارير

وجرائد ومجلات عربية وافرنجية ، ويجلس الامير عبد الكريم على هذه المنضدة ، ولا يساعده في اعماله سوى شقيقه السي محمد بن عبد الكريم .

وقد راح الامير ابن عبد الكريم يبذل جهوداً عظيمة في انقاذ البلاد من الحالة المحزنة التي كانت فيها . فقد كانت الفوضى ضاربة اطنابها والفتن والثورات منتشرة في طول البلاد وعرضها والفتك شديداً ، والازمة الاقتصادية آخذة بخناق الشعب ، فقاوم الامير هذه الاخطار وذلل الصعاب وضرب على ايدي العابثين بالامن ، فحلت الطمأنينة محل الخوف ، وذهب العدل والقانون بالظلم والاستبداد ، حتى صار الاجنبي فضلاً عن الوطني يستطيع ان يجوب تلك الانحاء آمناً لا يخشى شراً من احد اذا كان يحمل جوازاً من الامير ، وحتى صار الريفي نفسه يحار من هذا الامر ، فهو اليوم يتكلم عن الحكومة في بلاده مباهياً بها وعن السلامة المدهشة التي يتمتع بها في حله وترحاله .

وما كانت الاعمال الحربية لتنسي الامير امر الاصلاحات التي تحتاج اليها البلاد أشد الحاجة ، وما كان توطيد الامن ليشغله عما يحقق لشعبه المستقبل المجيد فقام باصلاحات في كل فروع الحياة فنظم مالية البلاد واصلح الادارة ونظم التجارة والزراعة وأسس المدارس وأَرسل البعثات العلمية إلى اوربا ، وعني باصلاح حالة

الريف الصحية فانشأ المستشفيات والمستوصفات وجلب الآلات الفنية وعمل على تعبيد الطرق وربطها بعضها ببعض إلى غير ذلك من الاصلاحات التي ستكون نواة لنهضة قومية ثابتة في المستقبل ·

***

واهتمت الجمعية الوطنية اهتماماً عظيماً في مسألة الجيش، فجعلتها في مقدمة القضايا التي يجب معالجتها ووضعها في صيغة تمكن الشعب الريفي من الوقوف امام دولة اوربية قوية ، فأقرت التجنيد العام بحيث اصبح كل رجل في الريف مكلفاً بالدفاع عن بلاده بدون اجرة ، وخولت الامير عبد الكريم السلطة التامة في اختيار الطريقة الملائمة ، وسلمته زمام القيادة العليا للجيش ، وتركت له الحرية التامة في امور الحركات الحربية وغيرها من المسائل ·

وكان أول عمل قام به الامير هو وضع نظامات لحمل السلاح تنص على ان القواد أو رؤساء القبائل مسؤولون مباشرة للقيادة عن صغار الرؤساء ، وعلى صغار الرؤساء ان يعدوا افراد الجند ويجعلوهم على قدم الاهبة والاستعداد ، وبهذه الواسطة صارت جميع القوة من الرجال على أتم استعداد في كل وقت للذهاب الى ساحة الحرب متناوبة مع سواها ، والامير يعين دور كل منها وفاقاً لما تقضي به حالة القتال على انه جرت العادة - حسب نظام التجنيد - ان تخدم كل قوة اسبوعين في ساحة الحرب ، ثم يعود رجالها الى اشغالهم

الزراعية ويحل محلهم سواهم ، وعليه فكل ريفي جندي مستجمع شرائط القتال مستعد دائماً للحرب والاحتشاد عند كل طلب وله بندقيته الخاصة به وقد يجلب معها ذخيرتها ايضاً ولا يتناول من القيادة سوى رغيف من الخبز ٠

ثم ان الصبية والشيوخ يساعدون المتقاتلين في القيام بوظائف الحرس في الداخل وعلى الحدود ، وكثيراً ماظهرت النساء المغربيات في صفوف الجيش يشتركن في القتال ويشجعن الرجال على الحرب وفاقاً لتقاليد العرب منذ القدم ٠

ويقود الجنود ضباط ريفيون درس اكثرهم في المدارس العسكرية الاسبانية والآخرون تدربوا بواسطة هؤلاء ٠

وللامير فرقة خاصة جعلها حرسه الخصوصي وبوليسه ، وهذه الفرقة مؤلفة من رجال منتخبين لهذه الغاية يلبسون عمامة زرقاء تميزهم عن سواهم ٠

وعلى أثر تشكيل الجيش اصدر الامير منشوراً يهدد فيه كل من يعصى امره ويفر من الجندية بحرمانه من حقوق رعويته ومصادرة املاكه ، وطلب إلى جميع الريفيين الساكنين في المناطق الاخرى العودة الى منازلهم ، فبرحوا ديارهم ملبين دعوة الامير لمقاتلة الاسبان اعداء وطنهم وامتهم ، هذا عدا القبائل والجماعات التي انضمت الى قوى الامير فاصبح عدد الجيش مئة وثلاثين الف نسمة كامل العدة

ولديه مدافع حديثة وطيارات واسلحــة وذخائر ابتاع الريفيون بعضها وغنموا البعض الآخر من الاسبان ٠

ولجمهورية الريف سفينة تجارية مسلحة يخفق عليها العلم المغربي ، قامت بدور مهم في الحرب الحاضرة فضربت بعض الجزر وحافظت على شقة الساحل التي هي مرفأ الحكومة الريفية ٠

ولدى قيادة الجيش الريفي العليا مصلحة استعــلامات متقنة تعرف منها اسرار حركات الجيش الاسباني واستعداداته وتقف على الحالة الداخلية في اسبانيا وقوفاً تاماً ٠

وقد ثبت أن عبد الكريم قائد الجيش العــام شديد الحذر والانتباه لا يبوح بخطته الا عند تنفيذها ، وخططه الحربية هي كما يقول مراسلو الصحف الاوربية في طنجة قريبة الشبه بالخطط الاوربية وكثيراً ما يجاري الاسبان على خطتهم ويظل في اخــذ ورد معهم يتقدم تارة ويتراجع أُخرى لاعتقاده ان طول الحرب في مصلحته وان الاسبانيين سيضطرون عاجلاً او آجلاً ، رغبة ســيف التخلص من النفقات ومن ارسال ابنائهم الى مجزرة الريف ، إلى مصافاته والاعتراف باستقلال بلاده ، وقد اتت هذه الخطة بثمار طيبة لانها جعلت مشكلة مراكش في مقدمة المشاكل التي تشغل السياسة الاسبانية . وقد امتدح مراسل التايمس في طنجة هذه الخطة فقال عنها : « انها جلت اسراراً ظهرت منها حكمة الريفيين الفائقة

في اختيار مواعيد القتال والمراكز الحربية والبدء بالعمل الحربي » ٠

على ان الامير كثيراً ما كان يختار أوائل شهر ربيع الاول للهجوم على الاسبان ومحاربتهم في مفتتح كل عام ، وقد يكون لاختياره هذا الوقت غير الاسباب الحربية ، اسباب تاريخية أُخرى لها تأثيرها في نفوس اعدائه الاسبان وفي نفوس بني قومه المغاربة ، فقد كان الاسبان وما فتئوا يقيمون في هذا الشهر منذ سنة ٨٩٧ ه الاعياد والحفلات والمواكب في طول البلاد وعرضها ويخبز نساؤهم الفطير (١) وذلك لمناسبة ذكرى انتصارهم على العرب وطردهم من الاندلس والمغاربة احفاد مهاجري الاندلس ينصبون المآتم والمناحات ويذرفون الدموع السخية على ملك ضاع وعز ذهب . فالامير يقصد من اختيار هذا التاريخ تنغيص الاعياد على الاسبان وجعل فطيرهم زقوماً بالضربات التي تنزل بجيوشهم ، وتبديل أتراح المغاربة الى افراح ودموع الاسى عندهم الى دموع سرور .

---

(١) روى المرحوم احمد زكي باشا ان النساء في اسبانيا يخبزن بايديهن في يوم معين من السنة نوعاً من الفطير كان نساء العرب قد بدأن يهيئنه لبعولتهن في ذلك اليوم المشؤوم يوم تسليم غرناطة (٢ ربيع الاول سنة ٨٩٧) واذا بالصريخ قد دوى في الآفاق فاضطررن لهجر الاوطان وتركن ذلك الفطير على حاله في الافران فجاءت الاسبانيات واكملن خبزه وقدمنه طعاماً سائغاً لازواجهن من رجال الاسبان

- ١٣ -

الريف فى اوربا

قال عبد الكريم لقد علمت باضطراب اسبانيا للفاجعة العظيمة التي اصابت جيوشها في المعارك الاخيرة في الريف واهتمام الدوائر العسكرية لهذا الانكسار ، واعتزام الحكومة ان ترسل الى الريف جيشاً قوياً كثير العدد والعدد وقد تم لها ما تريده فعلاً فكان عدد الجنود في مراكش الاسبانية بعد سبعة اشهر يقرب من مايتي الف جندي ، وكانت قيادة الجيش بين الجنرالين برانجر وبورجاتي .

وقد طلبت منا اسبانيا في هذا الحين ان تسترجع أسراها مقابل فدية عظيمة ، فرفضنا طلبها هذا وقلنا : اننا لا نريد مالاً ، ولكننا نريد الاتفاق معكم على المسألة الريفية .

فرفض الاسبان ذلك ، واخذوا يعملون بما لديهم من قوة ومال لترويج الدعاية ضدي في الريف وحمل القبائل على الانفضاض من حولي ، وكانوا يدفعون مالاً وفيراً لهذه الغاية .

وامام هذه السياسة رأيت من الحكمة تنظيم الحالة العسكرية

بين القبائل الريفية تنظيماً يشد من ازري ويوطد مركزي ، ويساعدني على مقاومة الاسبان .

فارسلت أَخي إلى قبيلة غمارة ، في جهات تطوان حيث اخذ ينازل الاسبان فيها ، وكبدهم خسائر فادحة ، ولكننا لم نتقدم خطوة إلى الامام .

واخذ أَخي من جهة ثانية يسعى لتوطيد مركزنا السياسي بين رجال قبيلة غمارة الذين كانوا يفضلون البقاء بسلام مع الاسبان ، وقد تعودوا على حكمهم كما يظهر .

وكان علينا ايضاً ان نحارب بعض القبائل الريفية حرباً تأديبية لتقوم بواجبها في الدفاع عن اوطانها وشد ازرنا في مقاومة الاسبان ولم يكن يشد ازر أخي في عمله هذا غير الف ومايتان من الانصار فكان على هذا العدد الضعيف ان يوطد مركزنا بين قبيلة غمارة وان يؤدب القبائل العاصية ، وهو امر لم يتمكن من اتمامه واقراره الا في سنة ١٩٢٤

والواقع ان سنة ١٩٢٣ كانت سنة تنظيم وترتيب وتوحيد صفوف ، ثم رأى بالاتفاق معي ان يعهد بالقيادة في هذه الجهات إلى احد رجاله ، وان يركب البحر الى اوربا ليدافع عن القضية الريفية امام الرأي العام فيها .

***

وترك عبد الكريم الكلام لشقيقه ليحدثني عن سفرته الى اوربا فقال السي محمد بن عبد الكريم :

— لقد حدثتك قبلاً عن هـذه المهمة التي قمت بها في اوربا في غضون سنة ١٩٢٣ ، والتي كان الحاج حتمي رفيقي فيها ·

لقد رتبنا أمورنا سراً فلم يعلم احـد بموعد سفرنا ، حتى ولا بسفرنا إلا حين اصبحنا في اوربا ·

وكان غرضنا من السفر الى باريس رأساً ان نسعى للحصول على تأييد فعلي يمكننا من توطيد الحالة في الريف وترتيب شؤونه وتعزيز مركزه ·

لم تكن الغاية كما قلت لك قبلاً السعي لاستكمال بعض المعدات الحربية ، بل العمل لاستقلال الريف ·

ذهبت انا ورفيقي اولا إلى (فاس) حيث قضينا فيها اياماً ، ومنها ذهبنا الى تلمسان حيث اجتمعت بالسيد حدو وبعض التجار ومنها ركبنا الى الجزائر ، وفيها اجتمعنا ببعض الشخصيات وسعينا لشراء بعض الطيارات ·

— وما السبب الذي كان يحملك على شراء بعض الطيارات ·

— السبب واضح وهو ان لدى العدو كمية منها ، وللطيارات تأثير على بعض القبائل ، فكان من الحكمة والحالة هـذه ان نظهر لقبائلنا ان لدينا مثل ما للاسبان ، من معدات حربية وطيارات ، هذا

الى اني كنت على مثل اليقين من ان الحرب مع اسبانيا ستدوم طويلاً ، فكانت الحكمة تقضي باتخاذ الاهبة لهذه الحرب الطويلة .

ولما وصلنا الى باريس نزلنا في فندق في شارع سانت لازار ، متنكرين طبعاً .

وكان غرضي من القدوم إلى باريس الاجتماع مع بعض الشخصيات وحملهم على الاهتمام بشؤون الريف .

وكنت ارغب اولاً في الاجتماع بالمسيو بوانكاره ، ولكننا لم نوفق .

ولم يستقبلنا احد غير المسيو بنليفه الذي استمع لحديثنا واظهر عطفاً على الريف ومطاليبها .

فقلت لسي محمد :

— ألم تجتمع وانت في باريس بالنائب الشيوعي برتون ؟

— نعم لقد اجتمعت به في احدى المقاهي .

— وهل بطوقك ان تحدثني عن ما دار بينك وبينه .

— اؤكد لك ان الحديث لم يتناول شيئاً مهماً ، ثم اني لم اجتمع به بعد ذلك ابداً وقد جرب هو غير مرة ان يطلب الاجتماع بي في التلفون ، ولكن مشاغلي كانت كثيرة ، وكان يهمني الاجتماع مع سواه من اصحاب الشخصيات ، وسيحدثك اخي في الوقت المناسب عن الاشخاص الذين حاولوا الاتصال بنا في الريف ،

والخلاصة ان هذه السفرة كانت فشلاً عظيماً خسرنا فيها مبلغاً من المال كنا في أشد الحاجة اليه في ذلك الوقت ·

— ألم تعمل وانت في باريس للحصول على بعض الذخائر والمعدات الحربية ·

— بلى وقد كنا طبعاً بحاجة الى هذه الذخائر لاني قلت لك اني كنت اعتقد ان الحرب سيطول امرها واننا لن نصل الى استقلالنا الا بعد صعوبات عظيمة وتضحيات كبيرة ·

وقد علمت وانا في باريس بتقدم الجنود الافرنسية على نهر يورغه ، فاضطررت للرجوع الى بلادي بعد ان رأيت قلة اهتمام الافرنسيين بشؤون الريف ·

***

وارسل عبدالكريم وفداً آخر الى اوربا ذهب رأساً الى لندن وحاول الاتصال برجال السياسة الانكليز وحملهم على تعضيد النهضة الريفية ففشل ايضاً ·

فصرح الوفد اثناء اقامته لمحرر مجلة (قبلة المسلم) بما يلي :

« اننا قمنا ولله الحمد باعمال حسنة متبعين في حربنا مع اعدائنا الاسبان تعاليم القرآن الكريم واعمال الخليفة الثاني عمر بن الخطاب واننا على ثقة من انتصارنا النهائي الذي يتوقف عليه استقلالنا وحياتنا ·

«ان اسبانيا بعد ان فشلت بحربها معنا عمدت الى الحصار البحري واخذت ترمي قرانا بقنابلها مستعملة حرب الجبن والدناءة ، فلا يقع في يدها اسير منا الا وتمثل به افظع تمثيل بينما نحن لا نعامل اسراها الا بالحسنى على ان اعمالها الهمجية اضطرتنا بان نهدد بمدافعنا جزيرتي (الحسيمة وبنون) الواقعتين امام شواطئنا وبذلك قضينا على اعمال الاسبانيين البحرية واجبرناهم على الابتعاد عن السواحل

«نحن اليوم نتألم من الحرب على ان هذا الالم نستعذبه في سبيل استقلال بلادنا . ولقد وفدنا الى اوربا وبودنا اسماع صوتنا وشرح قضيتنا الى العالم المتمدن

«وانا لنؤمل ان تعطف اوربا على قضيتنا العادلة وترد عنها فظائع الحرب التي نأباها وما زالت بلادنا حائزة على سعادتها ومحافظة على كرامتها . وانا لنستصرخ العالم الشرقي ونرجو ان لا تنسيه ايانا حوادثه الاخيرة ، فان حوادثنا لا تقل خطورة عن تلك ، خصوصاً وان الريف قاعدة شرقية ذات قوة وثبات لا يستهان بهما »

وافضى الوفد ايضاً بحديث لمراسل مجلة (صدى الاسلام) الباريزية هذا تعريبه :

« اذا كنا نحارب اسبانيا فلاننا نريد دفعها عن ديارنا التي هي طامحة اليها منذ القدم ، فاذا كانت اسبانيا ترجو لين قناتنا بطول الوقت فانها تخطيء في ظنها ، لان الشعب الريفي

لا يضن بشيء في سبيل حقه المقدس ، ولقد استصرخنا الامم المتمدنة التي زعمت انها خاضت غمار الحرب العامة لاجل الدفاع عن الحرية والحق والعدل ،فاصمت آذانها عن سماع كلامنا .

« أما من الوجهة الحربية فنحن على تمام الاهبة وملتفون عصبة واحدة حول زعيمنا العزيز ولدينا بنادق وقنابل ومدافع حديثة الطرز وكمية لا تفنى من العدة ، وجيشنا تحت قيادة ضباط شبان متعلمين اذكياء كلهم يتلقون الاوامر من الامير عبدالكريم الذي يباشر كل شيء بنفسه .

« فمن الوجهة العامة حالتنا ولله الحمد مرضية جداً ، وسنة ١٣٤٠ كانت علينا سنة خيرات وبركات إذ كنا نشتري اي صنف من المأكولات أرخص بخمس مرات مما هو في بلاد الجزائر، وكذلك الامن العام تام ، ففي طول السنة وقع عندنا حادثة قتل وحادثة سرقة لا غير ، وقد جرت الشريعة مجراها ، فقبض على القاتل وحوكم وقتل، وعلى السارق فقطعت يده اليسرى »

واذاع الوفد المذكور وهو بلندن خطاباً وجهه الامير عبد الكريم الى العالم الاسلامي هذا نصه :

« في العام الفارط بعد انتصارنا على جنود الاسبان رفعنا شكوانا اليكم في جمل وجيزة وعبارات قصيرة من تعدي هاته الامة وتحامل رجالها العسكريين على وطننا ، واليوم نعود الى الكتابة اليكم مرة

أُخرى مستصرخين ومستنجدين عسى ان يصادف استصراخنا هذا اذناً صاغية ، وقلوب شفقة وحنان .

«يا اخواننا ، بناءً على ماتعلمونه من المعاهدات الدولية ونصوص مؤتمر الجزيرة الخضراء جاءت اسبانيا بدعوى الاصلاح في العام التاسع عشر من هذا القرن المسيحي واشهروا علي الحرب وجردت على الريف حملة عسكرية تتألف من تسعين الف مقاتل كاملة العدة والعدد واتخذت جميع الوسائط العنيفة والمواد المهلكة لافناء هذه الفئة القليلة من الريفيين وحاربتهم بهذه الكيفية وبهاته الوسائل المدمرة مدة ثلاثة عشرة سنة وقد قام جيش هذه الامة الفاتحة خلال هاته المدة بضروب من التوحش وانواع من الهمجية يتحاشى القلم عن ذكرها وتمجها أسماع الانسانية .

خربوا الديار ، وغصبوا الاملاك ، واستباحوا النساء ، وقاتلوا الرجال ، واضطهدوا الدين وهتكوا الاعراض ، وساموا الاهالي من صنوف العذاب الوانا ، وكلما حاول مظلوم منا ان يبلغ شكواه للمراجع الاسبانية العالية قوبل بالاستهزاء والسخرية ، وهكذا قطع الريف الحر الذي عاش حيناً من الدهر شريفاً مستقلاً في دينه وحقوقه ثلاث عشرة سنة وصراخه دائماً كان صياحاً في واد حتى ضجر ومل واخذ يفضل الموت ، وان لا نجاة الا في تجريد السلاح ومقاومة هؤلاء الظلمة حتى أحرز الريف ذلك الانتصار الباهر

الذي رددت صداه جرائد المعمورة وانكسرت اسبانيا وارتدت الى حدودها القديمة التي لا تبعد عن مليلة أكثر من اربعة كيلو مترات وتركت في ايدينا كثيراً من الذخائر الحربية والاسلحة الكثيرة والاسرى الذين لا يزالون في قبضتنا وتحت حكمنا وايدينا وقد جرد عدونا بعد ذلك مائة وخمسين الفاً من المقاتلين وضاعف الاستعدادات الحربية والمواد المتفرقعة وعاد الى قتالنا ولكن هو الحق ابى الله تعالى الا ان يظهره على الباطل فلم يدهش الريف بل زاد قوة وبأساً ، فاشتد ساعده ونشط ثاني مرة للقتال ووقف في وجه هذا الظالم فلم يستطع ان يجاوز الحدود التي وقفت فيها جيوشنا من ذلك التاريخ ، وهذه هي الحالة الى اليوم ٠

«نعم تعلمون يا اخواننا ان الدين هو أقوى الروابط وامتن علائق المواخاة ، والاخ لابد أن يرحم أُخاه ، ويشفق عليه ويوءازره في الشدائد ، خصوصاً في هذا العصر الزاهر الذي تأسست فيه الجمعيات الخيرية وانعقدت الشركات الدينية بل البشرية للمواساة ومساعدة المنكوبين ٠

«وقد جرأنا على الاستصراخ اليكم مايصلنا اليوم من نهضتكم الجديدة وانتعاش العالم الاسلامي وقيامه للمطالبة بحقوقه ومجاراة الامم المتمدنة في تنازع البقاء والحصول على مركز في المجتمع الدولي في ان تعضدوا دعوانا وترفعوا معنا الصوت الى ممالك اوربا

التي كررنا اليها الشكوى ايضاً .

« نريد ان نصرح لكم اننا نطالب باستقلالنا ، وحرية وطننا ، استقلالاً تعترف به الدول التي تدير دفة العالم .

وهؤلاء سفراؤنا المفوضون المعربون عن الشكايات :

عبد الكريم الحاج علي محمد بن محمساوي . والسلام

محمد بن عبد الكريم الخطابي

وصرح الامير عبد الكريم لمراسل الديلي ميل الانكليزية قائلاً : « نحن اليوم نحب السلام ولكننا نأبى المذلة والضيم وقد عاهدنا الله والشرف العربي ان ندافع عن استقلالنا الذي يهدده الاجنبي الغاصب غراماً بالاستعمار الممقوت من جميع الشعوب الابية الحرة ، نحن لا نحب الحرب ونحبذ السلام مع استقلالنا التام وعدم الخضوع لسيادة الاجنبي القهرية المهينة ، وقد تفاوضت منذ عامين مع العدو بواسطة احد قواده المدعو (جيربو) بمليلة وافهمته أني مستعد لمنح دولة اسبانيا امتيازات اقتصادية كثيرة تعود عليها بالخير والمنفعة اذا اعترفت باستقلال بلادي ومعاملتها معاملة الصديق لصديقه لا معاملة السيد لخدمه وعبيده ، ولكنها رفضت ومع كل هذا فأني لا ازال مستعداً للمفاوضة حباً في السلام شرط اجابة مطالبنا العادلة ، اما اذا اراد عدونا حرباً فلتكن حرباً ابدية بيننا ، ولتهدر

دماء الابرياء على مذبح استعمارهم الوحشي البعيد عن الانسانية وفي سبيل مطالبنا المشروعة ، ولا يخفى على دول اوربا ان تحقيق استقلالنا له ميزة كبيرة ستعود عليهن جميعاً بالمنافع الجزيلة فبلادنا الغنية بمناجم النحاس والفحم والحديد ستفتح ابوابها لمعاونة الشركات الاجنبية التي نحن في اشد الحاجة لرؤوس اموالها وبذا يمكننا ان نفيد ونستفيد بكنوزنا الطبيعية »

واذاع الامير في شهر آب سنة ١٩٢٣ منشوراً قال فيه :

« ان الريفيين قادرون على حكم بلادهم ومستعدون ان يبرهنوا كما برهن الترك على انهم يستطيعون بلوغ مرامهم بقوة ساعدهم ، ان جمهورية الريف التي اعلنت سنة ١٩٢٠ ليست معادية للاسبانيين اذا كانوا يعترفون باستقلال الريفيين »

* * *

وقد بذل الامير كثيراً من الجهود السياسية كما بذل مثلها من الجهود الحربية لارجاع السيف إلى غمده وحقن الدماء وايقاف الطامعين المستعمرين عند حدهم ، والاعتراف باستقلال بلاده فارسل في شهر رمضان ١٣٤٢ ـ نيسان ١٩٢٣ مع المستر ورد بريس مكاتب جريدة الديلي ميل كتاباً إلى المستر مكدونلد رئيس الوزارة البريطانية هذا نصه :

« تبذل حكومة الريف كل نفيس في هذا الصراع الدموي

المؤلم ، وتجاهد في سبيل استقلال بلادها الذي يهدده الاسبانيون الظلمة المعتدون على حقوق الانسان الى آخر رجل .. انني اكتب لك باسم الانسانية المعذبة لتتوسط بيني وبين العدو المعتدي حتى نتهي هذه الحرب المرعبة التي تفتك بنفوس بريئة وها أنا اصرح لك بصفتي امير الريف المعترف به انني مستعد ان ارسل من قبلي مندوبين في المكان والزمن الذي تحددونه للمفاوضة في شروط الصلح على اساس استقلال امارة الريف استقلالاً تاماً وحفظ كرامتها كأمة حرة والا فالحسام خير حكم بيني وبينهم والنصر بيد الله يؤتيه من يشاء »

وقد اهتم مستر مكدونلد بهذا الامر باديء بدء بعض الاهتمام ، ولكنه أهمله أخيراً لاسباب لا تعلم .

ولما رأى الامير ان كتابه هذا لم يسفر عن نتيجة ارسل اليه الكتاب الثاني :

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة الوزير المكرم السير رامزي مكدونلد رئيس الوزارة الانكليزية .

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

نعرض اننا قد اتينا بكتابنا هذا لكي نسأ لكم باسم الانسانية ان

تخابروا الدولة الاسبانية لكي تسحب جنودها من بلادنا الريفية فاذا فعلت هذا يكون لكم الاجر والثواب بحقن دماء العباد ، واذا أبت فان السيف بيننا والنصر بيد الله يؤتيه من يشاء والسلام

محمد عبد الكريم الخطابي

ولكن رئيس الوزارة البريطانية أهمل الكتابين ولم يأبه لهما مما جعل القنوط يتسرب إلى الامير عبدالكريم من توسط أية دولة في انهاء الحرب والعودة إلى السلم ، فعول حينذاك على مخاطبة جمعية الامم طمعاً بمناصرتها له في تأييد استقلاله ، وقد حاول ان يصل إلى هذا الغرض بواسطة الحكومة البريطانية ايضاً ، فخاطب الوكالة البريطانية في طنجة غير مرة طالباً ان يؤذن له ببسط قضيته لجمعية الامم ، فامتنعت الوكالة عن التدخل خوفاً من مس شعور صديقتها اسبانيا وهكذا ذهبت مساعي الامير عبدالكريم السياسية في سبيل السلام أدراج الرياح .



- ١٤ -

معارك دامية

— ١٩٢٢ — ١٩٢٣ —

اشرنا في فصل سابق الى اعتزام الاسبان القضاء على عبد الكريم ورجاله بارسال قوة جديدة الى المغرب الاقصى ، وتعيين الجنرال برانغر قائداً لها

وفي اوائل سنة ١٩٢٢ تقدم الجيش الاسباني للهجوم بقوة مسلحة بعدد عظيمة ومعدات وافرة وجميع الجند المنظم من الريفيين لا يتجاوز بضعة عشر الفاً فدارت بين الفريقين معارك دامية على طول خط مليلة - كوبا - الحسيمة ، كانت سجالا بين الفريقين

وفي منتصف شهر شباط حمل الريفيون حملة صادقة على العدو فردوه على اعقابه وولى الادبار لا يلوي على شيء بعد ما تكبد خسائر فادحة وفقد كل ما معه من الذخيرة والاعتاد فارتد الى حصون مليلة

ولما علمت الحكومة الاسبانية بالفاجعة عقدت مجلساً حربياً قرر وقف حركات الزحف ، والسعي للاتفاق مع الريفيين ، فسافر

رئيس الوزراء على اثر ذلك مع ثلاثة من زملائه الى مالقة واستقدموا اليها الجنرال برانغر المفوض السامي والقائد العام في منطقة الريف لتبليغه قرار الحكومة ، غير ان الجنرال عارض في ذلك اشد المعارضة واصر على لزوم متابعة الحرب الى شهر حزيران .

بدأ الجنرال برانغر هجومه الجديد في شهر مارس بانزال خمسين الف مقاتل الى الحسيمة وحشد قوى عظيمة في ناحية مليلة للاحاطة بجبل بني عروس املاً بادراك الامير عبد الكريم في اجدر

ابتدأت المعارك في ليل ١٠ مارس وكان الجيش الاسباني قد تقدم باديء بدء بالحذر والانتباه وفاز بالاستيلاء على مواقع الريفيين في الخط الاول ، فصمد له الريفيون في الخطوط التي احتلها بعد ان تكبد خسائر تقدر بآلاف من القتلى والجرحى

وفي ٢٥ منه قام الريفيون بهجوم عام على طول الخط واشتدت المعركة حول الحسيمة اشتركت فيها المدفعية الريفية لاول مرة ففتكت بالجيش الاسباني فتكاً ذريعاً وخربت جميع المباني وقد دامت هذه المعركة اسبوعاً كاملاً كان فيه النجاح والنصر حليف الريفيين فاصيب الجنرال برانغر بجرحين خطرين في صدره وقتل من جيشه خمسة آلاف مقاتل واسر الريفيون ثلاثة الاف وغنموا ذخيرة ومعدات لا تحصى .

فسافر على الاثر الجنرال المفوض الى مجريط وقرر اركان حربه العدول عن متابعة الحركات الهجومية في اجدر وعولت على حشد قواها حول مليلة لاجل توسيع منطقتها حول هذا المرسى

ولكن الريفيين تابعوا هجومهم فدمروا مواقع اسبانية عديدة وأغرقوا لهم بوارج حربيةوعطلوا بعضهاواشتركت السفينة الريفية في هذا الهجوم فقصدت بعض الجزر التي هي بازاء البر وضربتها فاحدث ذلك تأثيراً سيئاً في اسبانيا وهاجت الخواطر وقلقت الافكار

***

ولقد انتدبت حكومة اسبانيا على أثر كارثة الحسيمة السنيور (ارشيفاتا) المثري الاسباني لمفاوضة الامير ابن عبدالكريم في عقد هدنة تكون أساساً لعقد الصلح وفك الاسرى الاسبان فسافر المندوب الى اجدر وعقد اجتماعات عديدة مع الامير انتهت بعقد الهدنة وتوقيف القتال موقتاً وفك اسرى الاسبان مقابل مبلغ تدفعه اسبانيا لحكومة الريف قدره أربعة ملايين بستاوهي عملة اسبانية تساوي فرنكاً واحداً وتسريح جميع مساجين الريف الموجودين لدى الحكومة الاسبانية

ثم دارت المخابرة حول عقد الصلح وانهاء الحرب دامت مدة طويلة لم تسفر عن نتيجة حاسمة لان الامير يشترط الاعتراف

باستقلال الريف التام واسبانيا ترفض ذلك وتصر على منح الريف استقلالا داخلياً فقط

وفي ٧ حزيران ١٩٢٣ هجمت قوة من الريفيين عددها سبعة آلاف على خط جبل درسه ـ ششوان فتقدمت الى الامام واستولت على مراكز العدو الامامية عنوة وأحاطت بمركز (ترياس). ولم تتخل عنها إلا بعد معارك شديدة اشتركت فيها قوة من الاسبان لا تقل عن ثلاثين الفاً خسروا منها الف مقاتل بين جريح وقتيل

ثم وجه الريفيون قواهم على مدينة (داغيت) فحدث هنالك معركة هائلة تشيب لها الولدان واصلى الجيش الريفي العدو ناراً حامية وفتك به فتكاً ذريعاً يقرب على رواية مراسل التايمس من فتك معركة (عريت ـ إنوال) واصبحت حالة الجيش الاسباني خطرة حتى ان قادته صرحوا بان الموقف أضحى محفوفاً بالصعاب ·

* * *

وما ذاع خبر هذه الكارثة في اسبانيا حتى عقد مجلس الوزراء اجتماعات متتالية قرر على أثرها انتداب وفد للمذاكرة مع الامير ابن عبد الكريم في عقد الصلح ، فسافر الوفد في شهر تموز ١٩٢٣ إلى تطوان وطلب إلى حكومة الريف ارسال وفد لينوب عنها في المذاكرات التي قررتها الحكومة ، فانتدب الامير اثنين من رجاله حضرا إلى تطوان ، حيث عقد فيها مؤتمر للبحث في عقد الصلح

مع الريف وانهاء الحرب ، وبعد اجتماعات عديدة انفرط عقد المؤتمر دون ان يتمكن من الوصول إلى حل المشكلة ، لأن الوفد الريفي أَصر على تطبيق الميثاق القومي ولم يتزحزح عنه قيد شعرة ودارت بين سكرتير الوفد الاسباني وبين وزير خارجية الريف مخابرات هي من الوثائق الخطيرة في تاريخ حرب الريف وقد اقترحت فيها اسبانيا ما يأتي :

١ ـ ان تكون المخابرات أما في الجزيرة واما في المركب كما وقعت المخابرة الاخيرة ·

٢ ـ لا يمكن المفاوضة ولا المجادلة فيما يتعلق باستقلال المملكة الريفية ولا في شيءٍ بغير ماهو معقود دولياً في عقد سنة ١٩١٢

٣ ـ يمكن المباشرة في منح نوع من التبديل ادارياً واقتصادياً في القبائل الريفية وفي الوظيفة والرتبة التي يتمتع بها السيد محمد بن عبدالكريم الخطابي وحكام القبائل الذين يحكمون تحت نظر جناب المخزن (وكيل السلطان) وحماية الدولة الاسبانية ·

٤ ـ تقع المفاوضات بنوع خاص في شأن توسيع دائرة التجارة والصناعة والفلاحة في القبائل الريفية والاعانات المعنوية والمادية من جانب المخزن وجانب الدولة الحامية ·

٥ ـ تقع المخابرة ايضاً في شأن الضمانات لتملك الاراضي الواجب منحها لالغاء كل متعاهد ومتعاقد ·

فكان جواب حكومة الريف ما يلي :

الحمد لله وحده

من السيد محمد بن محمد أزرقان الى السنيور سافدار

تحية وسلام · وبعد فقد استلمت كتابكم المؤرخ ٣٠ ذي القعدة في الساعة الثانية نهاراً من سابع ذي الحجة الحالي والذي يشبه الاخطار النهائي لنا الامر الذي استغربناه الى النهاية من كل الفصول ومن جميع الوجوه وذلك رغماً من ان القاعدة تقضي بوجوب متابعة المخابرة بواسطة الوفد الذي عيناه والذي يمثل أفكار الشعب الريفي الذي هو عبارة عن اكثر من مليون نفس ويربو عدد المتقاتلين منه على مايتي الف ، نراكم تواصلون المذاكرة على طريقة غير رسمية أما اذا كان ذلك لاجل انكم ترغبون في الصلح كما هو مضمون احدى مواد كتابكم فانا نجد في انفسنا من الرغبة أكثر من ذلك ولكنه لايمكن لنا الخروج عن القاعدة المعلومة في مثل هذه الشؤون المهمة ، وبهذه المناسبة أرى من واجبي وشواعري الانسانية وبصفة كوني مكلفاً من النظارة الخارجية لدولة الريف ان اصرح لكم ما يأتي:

ان الحكومة الريفية ـ التي تأسست على قواعد عصرية

وقوانين مدنية ـ تعتبر نفسها مستقلة سياسياً واقتصادياً آملة ان تعيش حرة كما عاشت قروناً وكما تعيش جميع الشعوب ، وترى لنفسها أحقية امتلاك تراثها قبل كل دولة ، وتعد القسم الاستعماري الاسباني معتدياً غاصبا لاحق له فيما يزعمه من نشر الحماية على حكومة الريف ، حالة لم يعترف بها الريف أصلاً ولن يعترف بها ويرفضها رفضاً ويلتزم أن يحكم نفسه بنفسه ويسعى في نوال حقوقه الشرعية التي لا نزاع فيها ويدافع عن استقلاله التام بكل الوسائل الطبيعية ويحتج أمام الامة الاسبانية وعقلائها الذين يعتقد فيهم أنهم يعترفون بأحقية مطالبنا المعقولة الشرعية قبل ان يجازف الحزب الاستعماري الاسباني بدماء شعبه في سبيل مطامع شخصية وادعاء حقوق موهومة طالما ان الحزب الاستعماري الاسباني يخدم مصالح الغير ، ولو انه يحاسب نفسه وضميره لوجد نفسه مخطئاً ، وانه عن قريب يرى انه قد تسبب لامته في الخسارة بسبب تطاوله الى الاستعمار ، والاستعمار لا يوافق مصلحته ، فالواجب عليه ان يتلافى الامر قبل أن يعسر تداركه ، تحتج الحكومة الريفية على كل عمل اعتدائي يصدر من الحزب الاستعماري الاسباني أمام العالم المتمدن وامام الانسانية وتتبرأ من كل مسؤولية وعهدة فيما عساه ان يقع من اتلاف الارواح والاموال ، هذا واننا نعجب ايضاً كيف انكم تجاهلتم أن مصالح اسبانيا نفسها في مسالمة الريف والاعتراف بحقوقه واستقلاله والمحافظة

على علائق الجوار وتمتين عرى الاتحاد مع الشعب الريفي عوضاً عن التعدي عليه واهانته وهضم حقوقه الانسانية والشرعية طبقاً لناموس العمران ووفقاً لمعاهدة فرساي المبرمة بعد الحرب العظمى العالمية ـ تلك الحرب التي تعلَّم منها الانسان نتائج التعدي والغصب والعجرفة وعلم العالم انه لا سبيل إلى اهانة الانسان ، وانه من الواجب العقلي الطبيعي ترك كل أُمة وشأنها لتدير امرها بنفسها ـ وان الجبروت والقوة يصيران لاشيء امام الحق ـ تلك المعاهدة التي خطها رؤساء دول عظيمة خاضت غمار الحرب وذاقت كأس الوبال بنفسها فلم يسعها في آخر الامر الا الاعتراف بالحق ومنح الشعوب حقوقها مهما كانت صغيرة ، ورغماً عن ان الساسة يقولون ان المعاهدات حبر على ورق ـ وان الحق للسيف ـ فالواقع انه لا بد من اعادة الحق الى صاحبه وإلا فلا يزال العالم في الارتباك والحيرة والاضطراب الذي يهدد السلم العام إذ كل شعب يناضل عن حقه ويطالب بحريته ، ولا عار على اسبانيا إذا عاشت في الريف بعد الاعتراف بحكومته واستقلاله ومبادلة المصالح المشتركة بل يكون لها حينئذ الفخر والشرف ويكون في تاريخها نقطة بيضاء ، ومن جهتنا فان الحكومة الريفية مستعدة لان تتلقى بكل مسرة تغيير خطة الحزب الاستعماري العدائية وترجو بكل رغبة زوال سوء التفاهم الذي كان منشاؤه

الخروج عن نقطة الاعتدال ، والتعصب المذموم وعدم التبصر والتأني والنظر في عواقب الامور في وقت كانت الانفعالات النفسانية الخبيثة متحكمة كما ان الحكومة الريفية تأسف كل الأسف إذا تمادى الحزب الاستعماري في التعدي والظلم والتحكم .

تصوروا انكم انتم لو كنتم المهاجمين في دياركم من اجنبي يريد السيطرة عليكم وامتلاك رقابكم ، هل تكونون من الخاضعين لذلك الفاتح ولو ادعى من الحقوق ما أدعى ، وزعم ما زعم؟ لا اخال إلا انكم تدافعون عن انفسكم حتى بنسائكم وكل قوانكم ولا ترضون الاستعباد ، والتاريخ يشهد لكم بذلك ، تصوروا كذلك الريف وكل رجاله يعتقدون اعتقاداً متيناً انهم يموتون في سبيل الحق ويدافعون عن شرف ما فوقه من شرف ولا يرجعون عن هذا الاعتقاد حتى يرجع الحزب الاستعماري الاسباني عن سوء نيته أو يموتوا عن آخرهم ، ولا يسعني إلا ان أصرح لكم تصريحاً نهائياً ان الريف لا يعدل ولا يغير خطته التي سار عليها الوفد وهو انه لا يفتح المخابرة في الصلح إلا على أساس اعتراف اسبانيا باستقلال الريف .

أما التخريب العسكري الذي أجريناه في شواطئ العكور وقدمنا لكم علماً به فليس صادراً عن سوء قصد ولكنه كان

اتفاقاً واعلمنا كم به قياماً بواجب الهدنة التي كانت بين الطرفين .

محمد بن محمد ازرقان

وحيث ان هناك بوناً شاسعاً بين مطالب الريف والاسبانيين فقد اخفق المؤتمر وعاد المندوبون إلى بلادهم .

***

بعد انفضاض مؤتمر تطوان دون ما نتيجة طلب الجنرال (بوتيزاتيدو) المفوض السامي في مراكش القيام بحملة عسكرية حاسمة في الريف فعارض ثلاثة من الوزراء في مجريط أي تقدم في مراكش ، ورفض وزير المالية ان يأذن باعطاء النفقات اللازمة فاستقال المندوب السامي وعين مكانه بالنيابة الجنرال (ايشاغ) .

وما وصل المندوب الجديد إلى مقر وظيفته حتى قابله الريفيون بحملة عنيفة وذلك في منتصف شهر آب ، فحاصروا (فرنو ، وتفر ، وسيدي ادريس) حصاراً شديداً ، واحدقوا بمراكز الاسبان الامامية ومنعوا عنهم المؤونة والذخيرة واجهزوا على طليعة جيش العدو فأبادوها عن بكرة ابيها .

ثم سير الريفيون جيشاً يقوده الامير بنفسه على خط شنوان ـ تطوان فقطع خط الانصال بين الوحدات الاسبانية وأحرج موقف العدو فاحدث ذلك ذعراً في اسبانيا وصدر الامر بالغاء جميع

الإجازات العسكرية ، وتمرد الجنود الاسبان في مالقه معترضين على السفر إلى المغرب الاقصى ، وقامت الاحزاب الاشتراكية ونقابات العمال باعتصاب عام ضد الحرب فاستحوذ القلق العظيم على رجال حكومة مجريط مما اضطرها لأن ترسل اثنين من العائلة المالكة إلى ميدان الحرب تهدئة للخواطر ، ولاضرام نار الحماسة في نفوس الجند ، وطلب إلى المندوب السامي إجراء المفاوضات مع ابن عبد الكريم لاقرار الهدنة ، فارسل المندوب يطلب الامير للاجتماع به ، ولكن الامير رفض الذهاب اليه بنفسه واوفد رجلاً بالنيابة عنه ، وهذا ابلغ الجنرال ان الامير سيد البلاد ، فهو في مركز مماثل لمركز ملك اسبانيا ولذلك لم يأت بنفسه ، بل أرسل رجلاً يمثله كما تمثل انت ملك بلادك ، وهو لا يفاوض سوى الملك نفسه ، وهكذا ذهبت مساعي الاسبان أدراج الرياح ٠

وابتدأ زحف العدو في ٢٣ آب من مواقعه ، وسارت جنوده نحو زيارة فيتفارين محاولاً اجلاء الريفيين عن مراكزهم ، فصمد الجيش الريفي وصد الاسبان مرات تجشم من جرائها المشاق والمتاعب على حين ان قوة الاسبان لا تقل عن ثمانين الف مقاتل ، يقابلها سبعة آلاف من الجند المنظم الريفي ومثلها من القبائل ٠

وفي ٢٥ منه اشتبك الفريقان على ابواب تفارين وهجم الريفيون على العدو بالمدى والهراوات وظهرت النساء بين صفوفهم يشتركن

في القتال ويشجعن الرجال على الحرب بالزغاريد ، وكانت الطيارات والمدفعيات والبوارج الاسبانية تطلق قنابلها من الحسيمة ترغب لفت نظر الريفيين عن موقع الهجوم الحقيقي فدمرت قرى ودساكر ، وبعد معركة دامت تسع ساعات متتالية تمكن العدو من فك الحصار عن المدينة ، تاركاً في ميدان الحرب ما يقرب من ثلاثة آلاف قتيل ومثلها من الاسرى بيد الوطنيين فقوبل انقاذها من اسبانيا بحماسة شديدة وارسل الملك والملكة برقيات التهاني للجيش .

وفي ٢٩ منه دخل ثمانية من الوطنيين مدينة (تطوان) ليلاً بعد ما اخفى افرادها السلاح تحت اثوابهم واطلقوا الرصاص فجأة في الشوارع فقتل من الاسبان عشرة وجرح ٣٤

وأعاد الريفيون الكرة على العدو في ٣٠ منه واحتلوا بني حسن وأبادوا فرقة اسبانية برمتها مع قائدها ، وهاجموا الخيالة الاسبانية في (كيكسوان) واماكن أخرى وضيقوا الحصار عليها وقطعوا المواصلات مع (تريازه وافرو) فاصبحتا في معزل تام عن الجيش ولم يقدر الاسبان على رفع الحصار عنهما الا بعد جهد جهيد .

***

والواقع ان الحرب الريفية صارت شوكة في حلق الاسبانيين واستحوذ القلق على الرأي العام ، واشتد السخط والتذمر في اسبانيا ، حتى اصبحت الحكومة عاجزة عن صد التيار فكانت

الكارثة الاخيرة من اكبر الاسباب التي حملت الجنرال دي ريفيرا على القيام في وجه الحكومة والتمرد عليها في برشلونة ، فاستقالت الوزارة على الاثر وتبوأ الجنرال كرسي الحكم مكانها .

وما تقلد زمام الامور حتى صرح بان حكومته قررت نهائياً قمع ثورة الريف والقبض على زعيم الثوار الامير عبد الكريم ، وانها عهدت في القيادة العليا الى الجنرال (ايزيورو) وزير الحربية الاسبق وخولته السلطة الواسعة ، الى غير ذلك من عبارات الاطمئنان

وفي شهر مارس من سنة ١٩٢٤ زحف الجيش الريفي بقيادة عبد الكريم ، متجهاً نحو مليلة ، وسارت فرقة من الريفيين نحو شِشوان — تطوان لمهاجمة خطوط المواصلات الاسبانية ، فقطعوها واحتلوا مواقع العدو الامامية ، وخرق الجيش الذي يقوده الامير خطوط العدو الى ان اصبح على ابواب مليلة ، فسارت كتيبة من هناك الى الغرب ، فاخترقت خطوط الاسبان الى (تزيارة) واحدقوا بها من كل جانب وتسللوا منها متجهين نحو (ميدار) فذعر الاسبان واضطرب شأنهم وجاءتهم النجدات من أسبانيا ، فحملوا على الريفيين حملة شديدة ، فقابلهم المغاربة بالمثل والقت طياراتهم القنابل على مليله فاحدثت حريقاً في بعض أَحيائها ، وسلطوا مدافعهم على الساحل فاصابت الطراد (كاتالوفيا) وقتل قائده ، ولم يقدر الاسبان

على فك الحصار عن مدينة مليلة الا بعد ان تكبدوا الخسائر الفادحة اما حصار مدينة (تزياره) فقد طال حتى شهر مايس

وبعد سكون نسبي سادميدان الحرب مدة شهر ونصف شهر قام الجيش الاسباني بهجوم شديد في اوائل مايس سنة ١٩٢٤ حوالي سيدي مسعود ومليلهفقابلهم المغاربة بقوة لا تنثني وصمدوا لهم في مواقفهم فتطاحن الجيشان تطاحناً عنيفاً ، واشتركت كتيبة من الطيارات الاسبانية لا تقل عن سبعين طيارة بالحرب علق عليها العدو آمالاً عظيمة . وعبثاً حاول الاسبان في حملتهم هذه اجلاء الريفيين عن مراكزهم الحصينة فذهبت جهودهم ادراج الرياح ، وقد دافع المغاربة في هذه المعركة دفاع المستميت بالسلاح الابيض ودحروا الاسبان عن مواقفهم باديء بدء ، ولكنهم اضطروا اخيراً الى الجلاء عن هذه المراكز بعد ان تكبد الطرفان خسائر فادحة .

وفي هذه الاوقات قلبت القبائل — القاطنة في المربع القائم بين نهر تطوان والقحر ، ووادي اللو وطريق تطوان ششوان — ظهر المجن للاسبانيين فانقضت على جيوشهم من كل حدب وصوب حتى أصبحت مراكزهم الداخلية محصورة ضمن نطاق من الحديد والنار وقد بدأ الهجوم في ٢٨ حزيران على النقطة الاسبانية في (قبة الدرسة) وحاصر المغاربة حاميتها المؤلفة من اربعين جندياً فارسلت النجدات

بعضها تلو بعض دون ان تتمكن من انقاذهم الا في ٧ تموز بعد ان جاءوا بقوات كبيرة لهذا الغرض من مليلة ، واحدقت القبائل بمراكز أسبانية اخرى ، قطعوا عنها المؤن والذخائر

ولما بلغ خبر قيام هذه القبائل مسمع الامير ابن عبد الكريم أرسل شقيقه الامير محمد الصغير بقوة مؤلفة من ثلاثة آلاف مقاتل الى الحدود فرابطت في قبيلة غمارة فاشتد ساعد القبائل بمجيء الامير الصغير ، وقامت كلها في وجه الاسبان وهاجمتهم على الخطوط الواقعة بين شوان والبحر واحدقت بمركز (داغيست) فاسرعت القيادة الاسبانية الى ارسال النجدات لانقاذ جيوشها المحصورة ولكنها لم تفز بطائل فاضطرت اخيراً للقيام بهجوم عام لرفع الحصار عن المراكز المحصورة وايصال المؤن الى الجنود الذين فيها، فدارت رحى معارك شديدة لم يقع مثلها تقدمت على اثرها الجيوش الاسبانية تقدماً بسيطاً

وبينما كانت حكومة مجريط تعلن بشائر النصر والفوز، جاء الخبر باشتعال نار الثورة بين القبائل الساكنة بين تطوان ونهر اللو وبان قسماً من قبائل جبالا (وهي قبائل الريسولي) قد تقلدت السلاح وانضمت الى قوة الامير محمد الصغير

وكانت القوات الاسبانية في تلك الجهة مؤلفة من ٤٠ الى ٤٥ الف مقاتل قسموها الى ثلاث فرق رابطت الاولى في

أسفل (وادي اللو) بقيادة الجنرال (سيرانو) والثانية في جهة (سوق الاربعاء) على طريق تطوان – ششوان بقيادة الكولونل (ريكلم) والثالثة في مدينة ششوان نفسها بقيادة الجنرال (جروند) وقد كلف هذا انقاذ القوات المحصورة في اواسط (وادي اللو) فوقعت هناك معارك شديدة ، حمل فيها المغاربة بقيادة الامير محمد الصغير حملة صادقة ، دامت ثلاثة ايام بلياليها فانكسر الجيش الاسباني شر كسرة وارتد على اعقابه خاسراً

وفي ٢ ايلول ١٩٢٤ عامت حكومة مجريط بفشل الجنرال (جروند) ، فعزلته وعينت الجنرال (بو كيادي يانو) بدلاً منه، ولكن الريفيين قطعوا جميع الخطوط الكائنة بين تطوان وششوان واستولوا على كل مراكزها . فالجأ الاسبان الى الطيارات لنقل المؤن والماء من قواعدهم البحرية الى مراكزهم التي اصبح معظمها محصوراً وعدل الجنرال الجديد عن السفر لعجزه عن الذهاب الى مكان قيادته ، حيث اصبحت طرق المواصلات بين جميع المدن والقرى الداخلية غير مأمونة، وصلت القوات الريفية من الفندق الى العرايش على شواطئ المحيط الاطلانطيكي من جهة ففتكت بالعمال المكلفين انشاء الخط الحديدي بين طنجة وفاس ، وسدت الطريق بين طنجة وتطوان واقتربت من تطوان من جهة ثانية

وفي هذا الوقت وصل الجنرال بريمودي ريفيرا اخيراً الى الريف

تتبعه نجدات كبيرة ، ولكن القوات الاسبانية التي كانت محصورة في أعالي (وادي اللو) سقطت وباتت القوات في (قبة الدرسة) نفسها والتي يقودها الجنرال سيرانو تحت الخطر وانقطعت كل صلة لها بسائر القوات الاسبانية من جهة الجنوب ، فاضطر الجنرال بريمو دي ريفيرا ان يأتي بالنجدات بحراً الى سبته ·

***

عقد الجنرال بعد وصوله الى تطوان اجتماعاً كبيراً احضره اثنا عشر قائداً من قواد الجيش ، فبحثوا الحالة الحربية وما يجب اتخاذه من التدابير ، وبعد اجتماعات عديدة قرر الحاضرون نشر الاحكام العرفية في طول البلاد وعرضها وحشد جميع ما لدى الحكومة الاسبانية من الجيوش وارسالهم الى المغرب الاقصى ، والانسحاب من المواقع التي بداخلية البلاد الجبلية البعيدة عن المراكز واذاعة بلاغ يتضمن تهديد الاهلين بتدمير القرى والدساكر التي تساعد العصاة ، وانزال العقاب الشديد بكل من يؤويهم ويمد لهم يد المساعدة

وما انفرط عقد الاجتماع حتى باشرت القوات الاسبانية بالانسحاب من عدة مراكز كانت على جانب عظيم من الاهمية منها (امتر وتحيبسات وتازا وتاطبوط والقلعة) وعشرات اخرى غيرها بعد ان دارت معارك هائلة تشيب لهولها الولدان أهمها موقعة تمزغت

التي تبعد عن أسوار تطوان نحو ثلاثة أميال ، ففي ٢٥ ايلول أراد ألاسبانيون أن يوصلوا الذخيرة الى مركز تمزغت فخرجوا بقوة كبيرة لحراستها وبينما هم في اثناء الطريق هجمت عليهم القوات الريفية فنشب القتال بين الفريقين ودام اليوم كله واخيراً انهزم الاسبانيون واستولى الوطنيون على جميع الذخائر التي بلغت قيمتها مليوناً من (البستات) اي ما يقرب من اربعين الف جنيه ، ثم في فجر اليوم التالي خرجوا ايضاً بذخيرة اخرى مصحوبة بقوة عظيمة من عساكر المرتزقة بقيادة الامير عبد المالك الجزائري ولكن حظ هذه الطائفة لم يكن احسن من سابقتها فبعدما ظلت تحارب طول النهار انهزمت في آخره بعد ان تركت القسم الاعظم من رجالها طريحاً ما بين قتيل وجريح ومن جملتهم الامير عبد المالك نفسه وهكذا دام الحال في الايام التالية

ولما كان هذا المركز واقعاً امام تطوان فقد وضع العدو المدافع الكبيرة داخل اسوار تطوان وهي التي كانت تمطر الريفيين قنابلها كما كانت طياراتها تلقي عليهم مختلف مقذوفاتها ولكن بدون جدوى ، ولم يتمكن الاسبان من الوصول اليها الا بعد ان تكبدوا خسائر فادحة ، فضاقت مستشفيات تطوان عن جرحاهم فنقلوا ما بقي منها الى سبته ، وقد بقي القطار بين سبتة وتطوان ينقل الجرحى ثلاثة ايام متوالية .

ثم جمع الاسبان صفوفهم ونظموا شؤونهم وزودوا جنودهم بما يحتاجون اليه من زاد وميرة استعداداً لفتح الطريق بين تطوان وششوان وانقاذ المدينة الاخيرة ، وأصدر الجنرال ايزيورومنشوراً الى الجيش يستنهض فيه الهمم ويقوي الروح المعنوية بالاشارة الى أن الاسبان متفوقون على خصومهم من الوجهة المادية ، واهاب بهم ان يظهروا بسالتهم وثقتهم بانفسهم في المعارك الفردية والمعارك العامة على السواء . ثم ختم منشوره بقوله : « لا تهنوا ولا تضعفوا ولا تكن تضحيتكم للوطن عديمة الشرف عديمة الفوز

وكانت الخطة التي تقرر السير عليها هي ان يهاجم خط ششوان من تطوان ومن العرايش — الفندق في وقت واحد فسارت القوات بقيادة ثلاثة جنرالات احدهم (كسترو) من القلب والثاني (سيرانو) من الجناح الايمن والثالث (بوكياديانو) من الايسر ولم تصل هذه القوات الى ششوان الا بعد ان لاقت صعاباً جمة ومشاق عظيمة في اقصاء المغاربة عنها ، ودارت حروب شديدة جرح فيها الجنرال (كاسترو) جرحاً بليغاً وقتل اثنان من ياورانه وغنم الريفيون محمول ٧٥ سيارة كبيرة من مختلف الذخائر

ولكن الريفيين اعادوا الكرة على طريق تطوان — ششوان ووجهوا ضرباتهم الى مراكز عديدة حتى اصبحت الحالة تبعث على القلق ، وفكر العدو في اخلاء ششوان بعد دخوله اليها

وثارت البقية الباقية من قبائل جبالا فاستولت على مراكز الاسبان على خط عفرين — بني عروس ، واحدقت بالفرق الاسبانية المعسكرة هناك ، وقطعت عليها خط الرجعة المؤدي الى (ازيلا) التي تبعد عن مركز الفرق مسافة عشرين ميلاً

وحاصرت قوة منهم المراكز الامامية الواقعة في (تازروت) مقر الريسولي فقامت القيادة الاسبانية بتضحيات عظيمة لانقاذها او تموينها على الاقل فلم تفلح

ولما رأت حكومة مجريط عجز المندوب السامي في مراكش عن تسكين الحالة عزلته ، وصدر الامر بتعيين الجنرال بريمو دي ريفيرا الديكتاتور مندوباً سامياً في المغرب الاقصى علاوة على وظيفته الاصلية ، فجاء الى تطوان وعقد مجلساً حربياً كانت نتيجته الجلاء عن المدن الداخلية والاكتفاء بالنزول في الموانيء الساحلية التي كان يرابط فيها الجيش الاسباني سنة ١٩١٢ ومفاوضة ابن عبد الكريم في عقد الهدنة للقيام بالجلاء دون ما خسارة

***

فانتدب الجنرال بريمو دي ريفيرا السنيور (ارشفاتا) المثري الاسباني الكبير لمفاوضة الحكومة الريفية بامر الهدنة فقبل الامير ابن عبد الكريم المفاوضة وارسل مندوباً عن حكومة الجمهورية الريفية صهره السيد محمد بن محمادي . فعرض المندوب

الاسباني الصلح على ان تترك اسبانيا المواقع التي جلت عنها فلم يقنع المندوب الريفي بذلك وقال ان حكومة الريف تعتبر نفسها منتصرة واسبانيا مغلوبة ولذلك يطلب غرامة وتعويضات واشترط لعقد الهدنة تنفيذ المواد التالية :

١ — ان تدفع اسبانيا عشرين مليوناً من الجنيهات تعويضا

٢ — ان تسلم اسبانيا لحكومة الريف خمسة عشر طيارة ، ومئة الف بندقية ، ومئة وعشرين بطارية مدافع جبلية

٣ — ان يجلو الاسبان عن مراكش الى حدود مليله وسبته

٤ — اذا قبلت اسبانيا بشروط هذه الهدنة يبحث في الصلح ومبادلة الاسرى

هذه هي الشروط التي طلبها مندوب الريف . ولكن الاسبان رفضوها رفضاً باتاً وامر المندوب السامي بقطع المفاوضات واصدر بلاغاً بتنفيذ المادة الاولى من قرار المجلس الحربي القاضية بالجلاء عن مائتي مركز من مراكز الريف

وفي اواخر تشرين الاول باشرت الجنود الاسبانية الجلاء عن المراكز الداخلية طبقاً للخطة التي وضعتها القيادة العليا ، وقد لقي الجيش الاسباني اثناء جلائه صعوبات جمة واعمل الوطنيون السيف في اقفية الاسبانيين ولم يأت يوم ٢٠ كانون الاول يوم انتهاء الجلاء الا وكان الاسبانيون قد ذاقوا الامرين من المغاربة فتركوا اسلاباً عديدة

وقتل وجرح منهم نحو عشرين الف جندي ، بينهم الجنرال (سيرانو) الذي قتل في طريقه الى تطوان وجرح الجنرال برانجه وغيره من الضباط والقواد

بعد ان تم جلاء الاسبان عن الريف انسحبوا الى الخط الذي يمتد من تطوان على البحر المتوسط مسافة ٥٠ كيلو متراً الى الغرب ثم ينحرف جنوباً على بعد ٣٥ كيلو متراً من البحر الى حدود المنطقة الفرنسوية ، وهذه المنطقة التي احتفظ بها الاسبان لا تزيد مساحتها على سدس مساحة البلاد التي منحوها في معاهدة سنة ١٩١٢ فان هذه المعاهدة اطلقت يد اسبانيا في بلاد واسعة من المغرب الاقصى تمتد من حدود الجزائر الى الاوقيانوس الاطلانتيكي ويبلغ طولها نحو (٢٥٠) كيلو متراً وعرضها نحو (١٠٠) كيلو متر

على ان الاسبان لم يبلغوا في انسحابهم الى الخط الذي قرروا الوقوف عنده حتى قامت قبائل (عنجرة) القاطنة وراء هذا الخط في المنطقة الاسبانية من تطوان الى حدود (طنجة) الدولية بثورة القت الرعب في نفوس الاسبان وهددت الجيش كله بنكبة عظيمة دخلت حرب الريف على اثرها في دور جديد من الوجهتين العسكرية والسياسية . فقد هاجمت القبائل الثائرة الاسبانيين واستولت على مراكز كثيرة بين سبته وطنجة واحتلت مركز (القصر الصغير) ازاء جبل طارق ، وقطعت الطرق بين سبتة

وتطوان فاصبحت الحامية الاسبانية في هذه المدينة الاخيرة محصورة تماماً من جهة البر . وصار تموينها مستحيلاً بطريق البحر لان (بوز مرتين) الذي هو ميناء تطوان بات تحت رحمة الريفيين . ثم احدق الثوار (بسوق ملوسة) الواقعة على مقربة من الجسر المتصل بالمنطقة الدولية ، مما اضطر الاسبان لارسال قوة الى عين الجديدة على حدود المنطقة الدولية وانشاء مخافر حول هذه الحدود لحماية منطقة طنجة الدولية من الخطر



القسم الثاني

كيف حارب عبد الكريم فرنسا ولماذا ؟

— ١ —

اسباب الاختلاف مع فرنسا

قال عبد الكريم :

— لست ارغب ان يبقى هناك اقل التباس في حقيقة الاسباب التي ادت الى وقوع الخصومة بين الريف وفرنسا ، لذلك رأيت ان اكتب بخطي اسباب هذه الخصومة ، وان اقدمها لك لتكون بيدك حجة وسنداً

واذا ما قرأت بياني هذا فانت واجد فيه انه بتقدم الافرنسيين الى وادي ورغة العليا ، اخذت الثورة تضطرب في قبائل هذه المنطقة ، وقد وجدنا في الماضي صعوبة عظيمة في القضاء على الفتن الداخلية بين هذه القبائل ، وقد أخذنا من بعض هذه القبائل رهائن من الرجال والشبان ، كما عمدنا في بعض الأحايين الى اعدام الثائرين من الزعماء والشيوخ

«لقد احدث تقدم الافرنسيين الى وادي ورغه ثورة كبيرة بين القبائل الريفية ، فتوسلت بذلك لاخضاع بعض القبائل الجبلية الريفية التي كانت لا تزال معتصمة بجبالها لا تحرك ساكناً لمساعدتنا

في هذه الحرب التي نتوسل بها للوصول الى استقلالنا . ولما تمكنت من اخماد الفتنة بين قبائل غمارة وقبائل صنهاج اخذت اهاجم المراكز الاسبانية واحداً بعد الآخر

ولقد عملت في الوقت نفسه على محاصرتها ومنع وصول الذخيرة اليها ، حتى اضطرت القوات التي فيها لمغادرتها وتركها وشأنها ، وقد غنمنا في هذه المناوشات القصيرة كثيراً من الذخائر والمدافع والبنادق ، وهو ما كنت بحاجة قصوى اليه

ولا بد من القول في هذا الفصل ان كثيراً من ذخائر الجيش الاسباني قد وقعت في ايدي بعض القبائل الجبلية التي كان (الريسولي) يحرضها على الثورة علينا ، حتى اننا بعثنا له مندوباً يعرض عليه مركز الحاكم في الريف رغبة منا في توحيد الصفوف وازالة سوء التفاهم ، ولكنه رفض ما عرضناه عليه ، فاضطرت جنودنا الى مهاجمته وأسره ، وقد توفي في الاسر كما هو معلوم ومشهور .

***

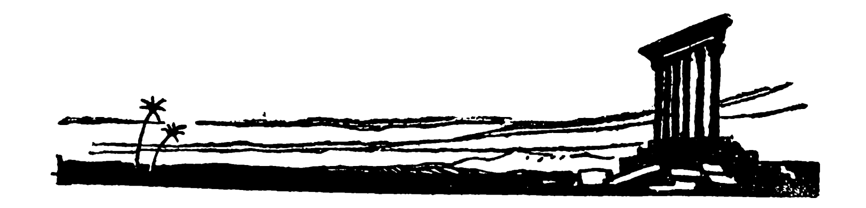
وقد حدثت مناوشات على الحدود بين الفرنسويين والريفيين اثناء جلاء الاسبان كان السبب المباشر لوقوعها عدم وجود حدود طبيعية بين المنطقتين ، فان هنالك شقة واقعة الى الشمال الشرقي من فاس تسمى (وادي ورغة العليا) لم يقدم أحد على احتلالها حتى

الان ، ولكن الفرنسويين يدعون انها جزء من البلاد المشمولة بحمايتهم ، فالى هذه الشقة أرسل الامير ابن عبد الكريم في شهر كانون الاول ١٩٢٤ قوات من رجاله وأعوانه فانضم اليهم رجال القبائل الوطنية واعتصموا كلهم بمواقع منيعة واخذ رجال الامير يتلقون تعليماتهم منه رأساً . وقد احدث ذلك ذعراً وقلقاً في الاندية الافرنسية ، فعاد المارشال ليوتي المندوب السامي من فرنسا مسرعاً الى المغرب لاتخاذ التدابير الضرورية . وعند سفره صرح لمراسلي الصحف انه يعود الى المغرب في وقت عصيب ليواجه حالة مقلقة خطيرة

على ان الامير ابن عبد الكريم قد اجاب على تصريحات المندوب الافرنسي بما يلي :

« ان هذه الشقة كانت تحت سيطرة الريف المباشرة لما اقدم الفرنسويون على احتلالها اخيراً ، وسيان عندي اذا كانت اسبانيا تعدها تابعة لها او كان الفرنسويون يحسبونها جزءاً من البلاد المشمولة بحمايتهم ما دامت الحكومة الريفية لم تعترف قط بتقسيم المغرب الاقصى الى مناطق مشمولة بحمايات اجنبية مختلفة ، وفي الدنيا امتحان واحد لصحة الملكية وهو الاحتلال الفعلي ، وقد احتلت جنودي هذه المراكز الواقعة على الحدود وبسطت حكومتي سيطرتها على القبائل النازلة فيها »

وقد كادت هذه المشكلة تفضي الى حرب بين فرنسا والريف منذ ذلك الحين ، ولكن جلاء الاسبان صرف فرنسا عن الاهتمام بمسألة الحدود البسيطة فاتخذت الاحتياطات الدفاعية ، وحملها على التفكير بمصير هذا الجلاء الذي لا تقل خطورته السياسية عن خطورته العسكرية ، لانها - اي فرنسا - اصبحت تخشى نفوذ ابن عبد الكريم في منطقتها بعد ان انتشر دعاته في طول البلاد وعرضها



— ٢ —

الريف وفرنسا

كان عبد الكريم يصر في كل الاجتماعات التي تجمع بيني وبينه على التأكيدلي بصداقته لفرنسا وان اقصى ما يرغبه هو ان يكون على اتفاق واياها

فرحت اسأله عن السبب الذي حمله على محاربة فرنسا مع حبه لها ورغبته في التفاهم معها فقال :

— لقد اخبرتك قبلاً بانهم كانوا يعملون المستحيل لحملي على محاربة فرنسا

وقبيل معارك شيشوان رجع الاسبان الى حوارهم السابق ، وكانوا قد اخذوا يشعرون بتكاليف هذه الحرب ومشقاتها ، وقد جرب بريمو دي ريفيرا ان يحملني على قبول طلباته بمختلف الوسائل والهدايا والوعود

ولكني رفضت بتاتاً مهاجمة فرنسا

وفي سنة ١٩٢٥ كنت في موقف محفوف بالاضطرابات والمخاطر بسبب ثورة بعض القبائل ، وقد كتبت الى المارشال ليوتي

والى غيره ، ولكن الحوادث كانت سريعة ، وقد جرفتنا الاقدار ، فلم نوفق الى استكمال ما نريده ونبتغيه

ولقد ظن رجالي بعد انتصاراتهم على اسبانيا ان الجبهة الافرنسية سيكون مصيرها مصير الجبهة الاسبانية وانهم منتصرون في هذه كما انتصروا في الاخرى

والواقع ان سبب هذه الحرب هو تقدم الفرنسويين الى جهات (نهر ورغه) وقد كتبت الى المارشال ليوتي وغيره كما اخبرتك اطلب منهم ان لا يتقدموا الى هذه الجهة ولكن احداً لم ير ضرورة في الاجابة على رسائلي

ثم ان احداً ليس يستطيع الانكار بانني كنت اعمل لاستقلال الريف ، وانني كنت اسعى لاقرار خطة والدي وأغراضه ، وان هناك قبائل في الريف لم تكن تؤيدني ، ولكي يكون بامكاني الوصول الى اغراضي الاستقلالية كان حتماً علي مهاجمة هذه القبائل وحملها على القبول بسلطتي ، وليس يهمني فيما اذا كانت هذه القبائل قد طلبت مساعدة فرنسا او غير فرنسا . ان غرضي كان استقلال بلادي ، وللوصول الى هذا الغرض كان لابد لي من تذليل جميع العقبات التي تقف في طريقي . . .

ولو اني تركت هذه القبائل التي راحت تطلب حماية فرنسا ومساعدتها ، لكان موقفي حرجاً في الريف ولراحت القبائل التي

تناصرني تقول اني اعمل للمصالح الافرنسية ، لا لاستقلال الريف وحرياته . فانت ترى والحالة هذه خطورة الموقف ، وان المرء يضطر احياناً الى العمل قسراً .

ولقد نظرت القبائل الموالية لي الى تقدم الفرنسويين الى جهات قبيلة بني زروال ، والى جهات نهر ورغه كاعلان للحرب وقاموا يطلبون مني القيام بواجبي والمدافعة عن ارض الريف ورد الافرنسيين المتقدمين . كما ان بعضهم راح يهاجم الخطوط الافرنسية بدون علمي ولا امري وهو ما حملني على حبس احد زعماء هذه القبائل

تسألني لماذا حاربت فرنسا ؟

فاقول ان سؤالك غريب لا يرتكز على اساس معقول ، لاننا لم نحارب فرنسا ، وان الرصاصة الاولى قد اطلقت من الجهة الافرنسية وليس من جهتنا ، فاضطرت القبائل الموالية والقريبة من المنطقة التي راح يتقدم فيها الافرنسيون الى الجواب ، وبذلك اشتعلت النار

هذا أمر الله ، وهذا ما هو مكتوب في القدر علي ..



— ٣ —

حرب الاشهر الثلاثة

— نقلاً عن المصادر العسكرية الموثوقة —

مايس ١٩٢٥

١ مايس — دخلت القوات المغربية المنطقة الفرنسوية شمالي ورغة

٣ منه — ان البقاع التي دخلها المغاربة من المنطقة الفرنسوية محرومة من وسائل الدفاع ، مساحتها عشرة كيلو مترات بين الحدود والمخافر ألامامية الفرنسوية

يحاول الريفيون اثارة القبائل المجاورة للحدود على الفرنسويين

المرشال ليوتي موقن بانه يستطيع مواجهة الحالة بما لديه من القوات

٤ منه — ان سرعة تنظيم الجنود الفرنسوية حالت دون تقدم المغاربة . وقبل ان تتم هذه التدابير وقع هجوم اضطر الفرنسويون

في خلاله ان يدافعوا دفاع الابطال · وفوجئت فصيلة من فصائل الهندسة وهي في ابان عملها بهجوم الريفيين عليها ، فاضطرت في أثناء العودة الى أن تفتح طريقاً لها بالسلاح الابيض

٥ منه – ان المرشال ليوتي قابض على ناصية الحال ، وان الريفيين اخترقوا حدود المنطقة الفرنسوية ، وحملوا قبائل بني زروال في وادي ورغة الاعلى وفي القسم الشمالي من منطقة (تازة) على السير معهم ، ثم احدقوا ببعض المراكز الفرنسوية الامامية · وكان المرشال ليوتي قد حشد هناك جنوداً من قبيل الاحتياط · فالفت هذه الجنود ثلاث كتائب ، ثم قامت بتموين المراكز الفرنسوية المحصورة وردت الريفيين عنها

جاء المرشال ليوتي من فاس الى ميدان الحرب فتولى تنظيم الاعمال العسكرية بنفسه · والظاهر ان الامير عبدالكريم أعد لهذا الهجوم نحواً من عشرين الف مقاتل

قررت الحكومة الفرنسوية ارسال المدد الى المغرب الاقصى ، ومعظمه من جنود الهندسة والطيارين والهيئات الطبية ·

يقود المرشال ليوتي الان ستين الفاً يمكن استخدام ثلثهم في محاربة الريفيين

٦ منه – ان الكتيبة الفرنسوية التي تحارب في القلب

ابعدت الريفيين عن مرتفعات (تاونات) وصدت كرات شديدة كرها الريفيون الذين تتألف قواتهم من جنود نظاميين تشد ازرهم قبائل محلية

٧ منه — نقلت الطيارات الفرنسوية الماء بشكل الواح جليد الى المخافر الاربعة او الخمسة المحاصرة في جهات بيبان

ان الاخبار المنبئة بفوز الكولونل فريدنبرغ لم تقلل شيئاً كثيراً من المخاوف المتزايدة الناشئة عن احتمال وقوع حرب كبيرة فان الجنرال كولومبات لما وصل الى جهات بيبان وجد نفسه امام قوة من الريفيين محصنة تحصيناً تاماً في خطوط متوالية من الخنادق تحميه نار مدفعية مسددة بغاية الدقة والاحكام ، وكانت امثال هذه الاعمال مجهولة في المغرب الاقصى في الماضي

قالت جريدة الماتان الافرنسية في ٨ منه :

« ان الريفيين مسلحون بمعدات حربية حديثة ، منها مدافع رشاشة وخمسون مدفعاً كبيراً ، وبضع دبابات وست طيارات . ويظهر ان الامير ابن عبد الكريم كان يرمي بهذه الحركة الى قطع السكة الحديدية بين (تازة) و (فاس ، ولكن حملات الفرنسويين الشديدة بقيادة الجنرال كولومبات والكولونل فريدنبرغ والكولونل كمباي اوقفت تقدم الريفيين ومتى وصلت النجدات المرسلة من الجزائر سيبدأ بصد الريفيين على طول الخط »

يقوم كثير من دعاة الريفيين ببث دعايتهم في جهات (تافيلالت)

ترى الدوائر الفرنسوية العليا ان خطر الريف على المنطقة الفرنسوية في مراكش عظيم الى حد يحملها على مواصلة الحملة بجميع الاساليب العسكرية والسياسية والاقتصادية الى ان يفشل الاميرعبدالكريم فشلاً تاماً ... ولا يمكن القيام بمثل هذه الحملة الا بتعاون عسكري مع اسبانيا . ويقال ان المسيو بريان وزير الخارجية الفرنسوية ارسل تعليمات الى السفير الفرنسوي في(لندن) ليحادث وزير الخارجية البريطانية رغبة في وقوف بريطانيا موقف العطف تجاه اي اتفاق يعقد بين فرنسا واسبانيا في مراكش ، وسيعرض سفير فرنسا على انكلترا تعضيد فرنسا للمطالب البريطانية في(الموصل) ويعلق اصحاب المصارف اهمية عظمى على مراكش لان لهم مصالح حيوية في تلك المستعمرة الغنية

في ٩ منه — قال المسيو بنلفه :

« لا تزال مخافر كثيرة محصورة تمون بواسطة الطيارات ، ولا يمكن ان ننتظر عملاً عظيماً قبل وصول النجدات المختلفة من جميع الاسلحة التي طلبها المرشال ليوتي وبعد ما يتم الحشد الجاري الان تضرب الضربة الفاصلة بجميع الوسائل التي تتطلبها الحالة . واننا نعمل على اتفاق تام مع الحكومتين البريطانية

والاسبانية »

وقالت جريدة المورنين بوست الانكليزية :

« لم يقم دليل على ان وراء القتال الناشب الان بين المغاربة والاوربيين في الشمال الغربي من افريقية عاملاً دينياً ، ولكن روح الغطرسة القومية هو الذي يحتدم في صدر عبد الكريم ، وهو مظهر مؤسف من مظاهر مبدأ « تقرير المصير » الذي وصفه مستر لانسنغ خير وصف اذ قال : « ان تقرير المصير عبارة محشوة بالديناميت » وقد لقيت فرنسا الشر نفسه في تونس ، ولقيت انكلترا اخطاره في وادي النيل . فاذا استطاع عبد الكريم ان يواصل العمل بنشر دعايته الخطرة ولم يوضع لها حد فان النار تضطرم في افريقية الشمالية كلها في أقرب وقت

١٠ منه ـ يسافر الجنرال نياسل — المفتش العام للطيران العسكري الى المغرب الاقصى — للقيام بمهمة اقتضاها توسيع نطاق الاعمال الحربية الجوية

احتشدت قوات كبيرة من الريفيين ، واحتلوا مواقع كانت محصنة تماماً ، واتخذ الجنرال شامبرون جميع التدابير العسكرية والسياسية لمواجهة الحال

الفت في (طولون) فصائل من المتطوعين لحرب المغرب الاقصى

١١ منه ـ بحث المسيو بنلفه مع المسيو اسولا سكرتير وزارة الحربية ومع المرشال بتان والجنرال ديبيني في شؤون عسكرية مختلفة تتعلق بالمغرب الاقصى

ارسلت نجدات الى المغرب الاقصى

يظهر ان الامير عبد الكريم ارسل اخاه في شيشوان الى المنطقة الاسبانية لتجنيد قبيلة جبالة

١٢ منه ـ وقفت الاعمال العسكرية وقوفاً وقتياً في انتظار وصول النجدات والمعدات الكبيرة المرسلة من الجزائر وفرنسا

اصبح من المؤكد ان السبع طيارات التي لدى الامير عبد الكريم ليست من الغنائم التي غنمها من الاسبانيين بل اشتريت من انكلترا رأساً . وكثر التحدث في المقامات السياسية الفرنسوية حول ما اذاعته جريدة (ستار الانكليزية) عن محاولة رسل الامير عبد الكريم شراء معدات حربية حربية من انكلترا

سافرت فصيلة سنغالية من الريف الى المغرب الاقصى

١٣ منه ـ تلقى الجنرال ليوتي قسما من النجدات ، فبدأ بحركات القمع لانقاذ المخافر الامامية التي لا تزال محصورة

بدأت قوات فرنسوية معززة بالمدافع والطيارات القتال في الصباح لانقاذ اكمة بيبا وتقدمت في احوال ملائمة حيث تحصن

الريفيون بخنادق انشئت طبقاً للفن الحديث

١٤ منه ــ انتزعت القوات الفرنسوية المواقع المنيعة التي كان يشغلها الريفيون في سلسلة جبال بيبان بعد مقاومة عنيفة ، وانسحب الريفيون شمالاً وهم يقاتلون ولما انتصف النهار كان الريفيون يتقهقرون وهم يقاتلون في كل مكان . وقد انقذ الفرنسويون عدة مخافر بروؤس الحراب

وصل الى المغرب الاقصى الجنرال نياسل المفتش العام للطيران العسكري

١٥ منه ــ انزلت الطيارات الفرنسوية خسائر فادحة بالريفيين باستعمالها قنابل كبيرة من طراز جديد صنعت في زمن الحرب ولم تستعمل فيها لان الهدنة عقدت في ذلك الحين

ان نجدات كبيرة مأخوذة من جميع الحاميات العسكرية في فرنسا ستسافر قريباً الى المغرب الاقصى مصحوبة بعدد من الطيارات التي تنقل الجرحى

تمكن الفرنسويون من تموين عدة مخافر

توفي الماجور مازبرج ــ الطيار المشهور ــ متأثراً بالجراح التي اصابته من الريفيين

١٦ منه ــ اوقفت قوة الكولونل فريدنبرغ في الوسط هجوماً جديداً شديداً امام مراكزها

١٧ منه ـ انقذت قوات الكولونل فريدنبرغ مخفر بوطومنت بعد معركة شديدة استعمل الريفيون فيها مدفعين لكنهم لم يكونوا يحسنون الرماية

يزداد النشاط في بث الدعاية الريفية في ساحة (برانس) وساحة (مناس)

١٨ منه ـ ان المشاة الريفيين مسلحون ببنادق سريعة من طراز ماوزر ، وبمدافع رشاشة ومعدات حربية حديثة ، وبعدد تلفون لاقامة المواصلات بينهم في ميدان القتال . وهم مدربون تدريباً حسناً ويجيدون استعمال التحصينات في ساحات القتال ، ويستخدمون الخنادق في الدفاع بمهارة عظيمة ، ولكنهم لا يحسنون استعمال المدافع الكبيرة ولا اخفاءها عن نظر العدو ، لذلك يضطرون الى الانقطاع عن اطلاق تلك المدافع عند ظهور الطيارات الفرنسوية صاحبة التسلط في جو ميدان القتال لان طيارات الريفيين لم تظهر واحدة منها حتى الان

١٩ منه ـ ان قوات الريفيين المحشودة في شيشوان يراد توجيهها للقيام بهجمتين في وقت واحد : الاولى على الاسبانيين في (تطوان) والثانية على الفرنسويين في (وزان) حيث استمال ابن عبد الكريم القبائل المجاورة له

٢٠ منه ـ وصلت نجدات فرنسوية جديدة الى المغرب الاقصى

لا يزال الريفيون يواصلون بهمة عظيمة تسليح القوات وحشدها ، ويقال ان عبد الكريم اعلن التعبئة العامة في كل بلاد الريف وجباله

تمكنت قوات الجنرال كولومبات – التي كانت تؤيدها المدفعية والطيارات تأييداً عظيماً – من الوصول الى بيبان وتموين المخافر بعد قتال باهر . وقد اضطرت الى صد قوات كثيرة من الريفيين وانتزاع الارض منها شبراً شبراً والاشتباك معاً بالسلاح الابيض في خنادق مغطاة ومخفية عن الانظار ثم القتال في غابات محصنة تحصيناً حسناً يدافع عنها رجال يستبسلون في قتالهم .

٢١ منه – أعلن رئيس اركان حرب المرشال ليوتي وصول نجدات كافية تمكن الفرنسويين الآن من اتخاذ خطة الهجوم

يؤكدون ان الريفيين يحشدون في الساحة الغربية قوات كبيرة امام الخطوط الفرنسوية

٢٢ منه – استؤنفت الاعمال العسكرية الفرنسوية بشدة ، فان قوات كبيرة محشودة في جهة عين عائشة بقيادة الجنرال دي شامبرون شرعت في عمل قوي لصد كتائب الريفيين التي عادت فدخلت الحدود واحدقت مرة اخرى بالمخافر الفرنسوية

الامامية

قرر مجلس الوزراء الفرنسوي ان يطلب من مجلسي النواب والشيوخ اعتمادات اضافية لاجل الاعمال الحربية في المغرب الاقصى .

قام الجنرال شامبرون بحركة حربية تمكن فيها من انقاذ مركز الورغة الاعلى بالرغم من الهجمات العنيفة التي هجمها الريفيون بقوات كبيرة اتوا بها على جناح السرعة ، وبالرغم من المقاومة الشديدة التي ابدتها قوات اخرى في مراكز محصنة تحصيناً تاماً . وقد اشتركت المدافع والطيارات في تسهيل تقدم الفرنسويين فخرجت الطيارات ثلاثين مرة وقذفت خمسمائة قنبلة

٢٣ منه — وردت الانباء بقيام الريفيين بحركات عظيمة في الشمال وان عبد الكريم يعيد الان حشد قواته

٢٤ منه — عين الجنرال دوجان قائداً عاماً في ميدان الريف من حدود الجزائر الى الاطلانطيك ومعه الجنرال بيليوت والجنرال شامبرون مساعدين له .

لا يزال الريفيون يحشدون قواتهم في منطقة كيفان وجهات مولاي علي واعالي دما كوم

٢٥ منه — انسحب الفرنسويون من ستة مخافر واقعة في جهات تاونات ومولاي علي لصعوبة تموينها ولانها كانت عرضة

للحصار اليومي . وقد تم الجلاء عنها لتكون الفصائل المكلفة تموينها اكثر حرية في عملها

تلقت قوات الكولونل كولومبات النجدات في كيفان

هاجمت قبائل جبطا الاسبانيين في جهات (تاهانوف)

تلاحظ بعض الصحف الفرنسوية ان عبد الكريم يميل الان الى تحويل مجهوداته الى جهة (الجزائر)

٢٦ منه – لا يزال الريفيون يبدون نشاطاً عظيماً . وقد وصل ٣٠٠ فارس من قواتهم الى (سقا) والمخافر الفرنسوية معرضة دائماً لرصاص الريفيين الذين يواصلون التشديد على القرى الشرقية والغربية من مخافر الفرنسويين

٢٨ منه – رفض رئيس الوزارة الفرنسوية ان يصرح لمجلس النواب بعدد الجنود الذين ارسلوا الى المغرب الاقصى وقال ان خسارة الفرنسويين ٤٠٠ قتيل و ٣٠ مفقوداً و ١١٠٠ جريح

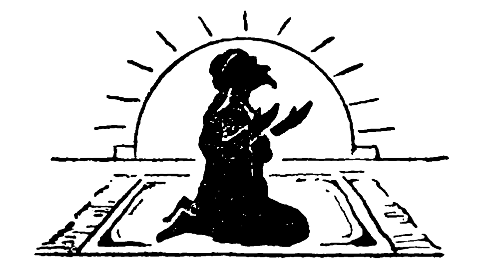
٢٩ منه – طلبت الحكومة الفرنسوية من مجلس النواب اعتماداً بمبلغ ٣٤ مليون فرنك يكون اول دفعة لحساب الحرب في المغرب الاقصى

٣٠ منه – اعلن مسيو ملفي في مجلس النواب ان فرنسا واسبانيا ترغبان في عقد السلم . وان عبد الكريم لم يعرض على فرنسا شيئاً ما بهذا الشأن ولم يرد على الاقتراحات التي قدمتها له الحكومة

الاسبانية .

استكشف في الدار البيضاء مركز للدعاية الشيوعية ، وقبض على ثلاثة اشخاص وصودرت مقادير من المنشرات العربية لتحريض الوطنيين على الثورة

٣١ منه ـ يظهر ان بعض الريفيين ذهبوا الى همبورغ لشراء السلاح



— ٤ —

حزيران ١٩٢٥

٥ حزيران — قامت الجنود الاسبانية بمعارك شديدة . اوقفت حركة قوات ريفية عديدة كانت على اهبة القيام بحركة التفاف على الفرنسويين في اتجاه (وزان)

تؤكد الصحف الفرنسوية ان قوات الامير عبد الكريم النظامية تبلغ ٢٥ الفاً تضاف اليها القوات المحشودة من رجال القبائل وتبلغ ٥٠ الفاً

٦ منه — جلا الفرنسويون عن مخفري (سكير)و(استير) بعد ما نسفوا الاستحكامات والذخيرة وقد هاجم الريفيون فصيلة فرنسوية موكلة بصيانة الامن في الجناح الايسر . ودارت معارك حامية بعد الظهر في الجناح الآخر

٨ منه—انسحبت الجنود الفرنسوية من مواقع مختلفة في جهات طاونات ، بعد تدمير عدد من المراكز التي كانت نقطاً للاتصال بين الفرنسويين والقبائل المحلية المنضمة الى الريفيين

وردت انباء بتجمهر الريفيين شمالي بني دركوب ، وجبال

مازيان ، ومعهم المدافع والرشاشات

٩ منه ـ لا تزال غارات الريفيين على مركز لو كوس متواصلة . وقد تقهقرت المخافر الفرنسوية الامامية في بعض المواضع بنظام حسن ، وبذل الريفيون جهوداً لاختراق الخطوط الفرنسوية على ضفة الورغة الجنوبية فلم يتم لهم ذلك

سافر المسيو بانلفه (رئيس الوزارة) في الساعة الخامسة مساء الى ظولون ومعه المسيو لوران ايناك والجنرال جاكيمو ، على ان يركبوا منها طيارة في الساعة السادسة صباحاً الى المغرب الاقصى لمحادثة المرشال ليوتي شخصياً عن الحالة الحربية ويزوروا ساحة القتال .

١٠ منه ـ اخترق الريفيون خط الدفاع الفرنسوي في اماكن عديدة من وادي فاس ، فقررت القيادة الفرنسوية نقل الاهالي غير المحاربين من وزان جنوباً على سبيل الاحتياط

وصل المسيو بنلفه والمسيو لوران ايناك الى رباط الفتح بطيارة وتحادثا ملياً مع المرشال ليوتي

١١ منه ـ حظي المسيو بنلفه بمقابلة سلطان المغرب الاقصى

ازداد تشدد الريفيين قليلاً حول المراكز الاسبانية في الساحتين الغربية والشرقية

ستؤيد بريطانيا العظمى التدابير التي تنويها فرنسا واسبانيا

لحصر سواحل الريف عملاً بمعاهدة الجزيرة

١٢ منه — ظل المسيو بنلفه والمارشال ليوتي مجتمعين الى ساعة متأخرة من الليل يدرسان الحالة

١٣ منه — ذهب المسيو بنلفه صباحاً لزيارة القوات المرابطة في مازة وجوارها مصحوباً بالمارشال ليوتي والجنرال جاكمو والجنرال دوجان . وزار ميدان القتال في الورغة والمخافر الامامية وبحث مطولاً مع القواد

عقد الخبراء البحريون الفرنسويون والاسبانيون نهار امس اجتماعهم الاول

١٤ منه — ركب المسيو بنلفه طيارة في الساعة الخامسة عائداً الى فرنسا وقد اعلن قبل سفره ان في النية ارسال دبابات وتعزيز سلاح الجو . واعترف بان الريفيين متصفون بالصفات الحربية ، وان جنودهم والجبليين منهم على استعداد لكل نوع من القتال ، ولكن ليس لديهم سوى عدد قليل من المدافع الرشاشة

١٦ منه — بدأت نسافتان فرنسويتان تتجولان في مياه سواحل المغرب مع السفن الحربية الاسبانية

احبطت الجنود الفرنسوية في منطقة وزان سلسلة اعمال قام بها الريفيون في الايام الاخيرة

يواصل الريفيون شرقي وزان القيام بحركات نصيبها الحبوط

وجددوا هجومهم في القلب على طاونات ، على ان القوات الفرنسية هي صاحبة الكفة الراجحة على ما يظهر

١٧ منه ـ هاجم الثوار في اثناء الليل عدداً من المخافر الاسبانية المختلفة في ضواحي ريغال

قال الامير محمد عبد الكريم لمراسل التيمس : انه مستعد لان يصدع بالنصائح الموجهة اليه بشأن عقد الصلح مع فرنسا ، بشرط ان تقدم له قاعدة معقولة للمفاوضة ثم قال : « ونحن نريد الاحتفاظ باستقلالنا ، ولا نحجم في سبيل الوصول الى ذلك عن تضحية كل ما هو عزيز لدينا »

١٨ منه ـ هجم الريفيون هجوماً شديداً على مواقع الفرنسويين الامامية في جهات (تروال)و(عويشة) الواقعة على بعد ستة كيلو مترات الى الشمال ولكن حملاتهم كلها صدت

٢٢ منه ـ وقع المندوبون الفرنسويون والاسبانيون اتفاقاً يقضي بان تتعاون بوارج الامتين على مراقبة شواطئ المغرب الاقصى البحرية ، وستحتفظ كل قيادة باستقلالها ، وتكون المراقبة موجهة الى منع اشتراء الاسلحة والمعدات الحربية

٢٣ منه ـ يقدر مراسل الظان في فاس القوات التي يستطيع الامير عبد الكريم ان يعول عليها في القتال في الجبهة الفرنسوية بمائة واثنين وثلاثين الف رجل من رجال القتال عدا ستة آلاف من

النظاميين

٢٤ منه ـ قامت كتيبتان اسبانيتان في قسم سبتة وتطوان بمناورة هجومية نحو (زادينة) لمنع احتشاد الريفيين

٢٥ منه ـ اذيع منشور بتوقيع مولاي يوسف سلطان مراكش ضد الامير عبد الكريم وصدر الامر بتلاوته في المساجد وسافر السلطان صباح اليوم لزيارة قبيلة شراغه واستبدال الزعماء الذين لم يظهروا سلطة كافية لتوقيف مساعي رسل عبد الكريم الذي تنتشر دعايته بنشاط بين قبائل ستول وبرانس

يظهر ان خطة الريفيين ترمي الى الزحف نحو الشرق لبلوغ الجهات الواقعة امام (فاس) بطريق (وادي اللابن) وقد بلغ الفرسان الريفيون في غزواتهم طريق تازة وفاس

غادرت البعثة النيابية الفرنسوية مدينة فاس امس ، ولما قابل اعضاؤها مولاي يوسف مستأذنين بالسفر قال لهم « تذكروا ما فعل ابناؤنا لاجل فرنسا في زمن الحرب العظمى ، وقدموا لنا الوسائل التي تمكننا من الدفاع !. »

٢٦ منه ـ قام الامير عبد الكريم بهجوم عام لقطع المواصلات بين فاس وتازة

٢٧ منه ـ صد الفرنسويون حملة حملها عليهم خمسة آلاف رجل من رجال القبائل المحلية المنقلبة على الفرنسويين ، تساعدها

بعض الفصائل الريفية ، وكان معظم القوات الريفية مرابطاً في مكان معين على تمام الاهبة والاستعداد للاشتراك في المعركة اذا نجح هجوم رجال القبائل

جاء في بلاغ ان الريفيين الذين اشتد ساعدهم بنجدات عظيمة ضاعفوا ضغطهم على النهر الكبير ، ولكن الجنود الفرنسوية ثبتت بمساعدة الطيارات تجاه هذا الهجوم

٢٨ منه ــ لم تذكر انباء فاس خبر هجوم ريفي عام ، بل تقول ان الفرنسويين احبطوا هجوماً شديداً هجمه الثوار في منطقه (تازة) والحقوا بهم خسارة عظيمة ، والذين حاولوا اختراق منطقة الفرنسويين من جنود الريف ارجعوا القهقرى ، والقت الطيارات الفرنسوية القنابل على مواقع الثوار

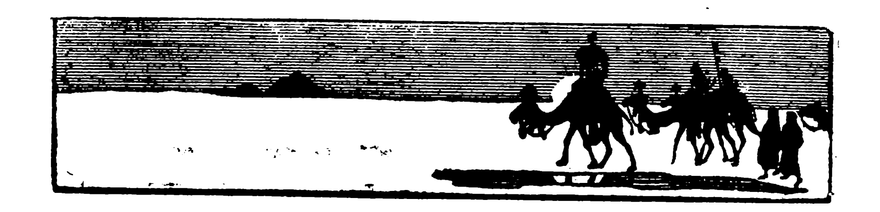
٢٦ منه ــ اشترك رجال القبائل الباقية على ولائها لسلطان المغرب في صد الهجوم الدي قام به الريفيون على خط تازة وفاس وكانت تساعد القبائل الموالية السيارات المسلحة والطيارات الفرنسوية وكانت زيارة سلطان المغرب لخط القتال باعثاً على اثارة الهمم في نفوس فصائل الوطنيين الذين يقاتلون دفاعاً عن قراهم

٣٠ منه ــ صددنا الريفين وهم يحاولون التقدم في جنوب الوادي الكبير بشرق ، ولا تزال المعركة ناشبة

يقدر مكاتب الماتان من فاس خسارة الريفيين بالف قتيل

وثلاثة آلاف جريح في الهجوم الاخير الذي توخوا منه الضربة الفاصلة بلا جدال من دون ان يقدروا عظم الخطر الذي يستهدفون له من جراء مثل هذا العمل

عادت لجنة التحقيق النيابية من المغرب الاقصى الى مرسيليا ، وصرح رئيسها بان الحالة كانت حرجة ، وما زالت خطرة ، ومن الضروري القيام بهجوم عاجل لانقاذ سمعة فرنسا ونفوذها بين القبائل ، وسيكون من المستحيل القيام بحركات عسكرية بعد الامطار التي تقع في تشرين الاول



— ٥ —

تموز ١٩٢٥

اول تموز — جاء في بلاغ ان الريفيين يعززون هجومهم على الفرنسويين في دائرة واسعة النطاق في القلب والشرق، وقد اجتاحوا الخطوط الفرنسوية في اماكن كثيرة، ونشطت الطيارات الفرنسوية نشاطاً عظيماً وقذفت القنابل على المنطقة التي يقود الجنود فيها شقيق عبد الكريم في بوادان

٢ منه — جاء في بلاغ ان المدفعية والمشاة صدت ثلاث حملات متوالية حملها الريفيون على معسكر القوات النقالة (في وادي اللبن) الاعلى، وحمل الريفيون حملات شديدة في الشرق في جهات وادي (امسون) فصدها الفرنسويون واحتفظوا بمواقعهم

لا يزال ضغط الريفيين شديداً على طول خط القتال وينتظر ان يقع هجوم عظيم في اقرب وقت

اعلن رئيس الوزارة الفرنسية في مجلس الشيوخ :

« انه وقع تحرش حقيقي بفرنسا واننا لا نحجم عن شيء لصد المعتدي وتوطيد السلم اللائق بفرنسا . وسنعقد الصلح حينما

يمكن ذلك ولكن دون ان تمس حقوقنا بسوء » وختم كلامه قائلاً : « تريد فرنسا ان تساعد على المصالحة والوئام بين الشعوب الاوربية لكي تتمكن اوربا من الثبات امام الحملة التي قد توجه اليها »

وتلاه المسيو بريان فدحض التهم القائلة : « بان فرنسا تريد ان تعتدي على استقلال الريفيين وتمنع المؤن على انواعها عنهم ، واشار الى ان فرنسا كانت على صلات حسنة بهم على الدوام وستحاول افهامهم ان خطتها هذه لا تتغير معهم ، وان فرنسا مستعدة لقبول كل اقتراح يرمي الى السلم

٤ منه — هجم الريفيون يومي ٢ و ٣ تموز غربي على كيفان ووجهتهم بني قاسم ولكنهم صدوا بعد معركة شديدة

قدم النواب الذين عادوا من المغرب الاقصي تقريرهم الى لجنة الجيش ، وقد اظهروا فيه ضرورة القيام بعمل سريع حاسم ، وابقاء المرشال ليوتي في منصبه فان مكانته العظيمة تمكنه من القيام بعمل سياسي كبير التأثير لدى اهل المغرب ، ولكن يجب ان يعين قائد عسكري يتولى ادارة الاعمال الحربية . واقترح هؤلاء النواب تعيين الجنرال ويغند لهذا الغرض . وشاع ان المرشال ليوتي يصل الى باريس قريباً لمباحثة رئيس الوزارة

يقول مراسل (الديلي ميل) في باريس في ٦ منه :

« تنظر دوائر باريس الى الحالة في مراكش بعين القلق الشديد فقد كان الفرنسويون يستخدمون حتى الان قوات كبيرة من المغاربة المسلحين لحراسة خطوط المواصلات وللمحافظة على بقاء خط القتال متصلاً من الغرب الى الشرق وقد انضمت هذه القوات الى صفوف الامير عبد الكريم ، وانتشرت روح التمرد بين الجنود المغاربة في (قشتاله) و(غياثه) و(تسول) وغيرها ، وانضم جانب من هذه الجنود فعلاً الى عبد الكريم ، وينتظر الباقون فرصة مناسبة ، وصار من المحقق الان ان مستقبل النفوذ الفرنسوي والاوربي بشمال افريقية في خطر ، وأن مصير فاس وسائر البلاد معلق في كفة ميزان القضاء ، وتعترف الدوائر الفرنسوية علناً بان ناصية الحال في قبضة الامير عبد الكريم لا في يد القوات الفرنسوية

وقال رئيس الوزارة الفرنسوية :

« ان امتداد خط القتال على طول ثلاثمائة كيلو متر يجعل من الصعب المحافظة على بعض المخافر المتفرقة لحماية القبائل وذلك لان حالة المواصلات لا تسمح بحشد النجدات سريعاً في الاماكن المهددة كما يجري في الحرب العظمى . ثم ان الخطة العسكرية لحشد القوات تهيئة للقيام بعمل حاسم قضت بان نترك وقتياً القبائل التي يدفعها الريفيون الى الانشقاق بوسائل الضغط والارهاب

وليس من المدهش ان تأتي الانباء بتقدم الريفيين قليلاً ، وبانسحاب الجنود الفرنسوية انسحاباً جزئياً يقضي به جمع القوات ولكن رغم ذلك التقدم وما يترتب عليه من انفصال القبائل يجب ان يعلم الجميع ان مدينة فاس في مأمن لا تخشى خطراً من رجال الامير عبد الكريم

صرح المسيو مالفي لمندوب (الجورنال) في مجريط بان الاتفاق بين فرنسا واسبانيا اصبح امراً تاماً ، وانه سواء في المفاوضة في الصلح او في مواصلة الحرب ستعمل الدولتان بالاتفاق على مقاومة الخطر مع احتفاظهما بالاستقلال في تنفيذ العمل

تلقت الوزارة الفرنسوية امس نص الاتفاق الفرنسوي الاسباني المشتمل على شروط الصلح والمراد عرض الصلح علناً لا عرض اقتراحات شبه رسمية بواسطة وسيط لاجل مفاوضات سرية ويقال انهم سيضمنون للامير عبد الكريم واهل الريف حريتهم التامة في الشؤون الزراعية والاقتصادية والادارية تحت سيادة سلطان المغرب الاقصى الاسمية ، وفي دائرة الحدود التي تعين للريف ويحتمل ان تكون هذه الحدود من جهة الفرنسويين تابعة لمجرى نهر ورغة ، وقد يطلب من الامير عبد الكريم التسليم ببعض المطالب العسكرية الخاصة بالسلاح ولكن لا يطلب منه تسليم كل معداته الحربية وخصوصاً الألف بندقية السريعة الطلقات الموجودة لديه الان

وهذه الشروط مع اعتدالها ، لا تطابق مطالب عبد الكريم التي جاء بها منذ حين قريب رسول اسباني بعد ما باحث زعيم الريف

عين الجنرال نولان — قائد الفيلق الثلاثين — قائداً عاماً في المغرب الاقصى . وقد امضى معظم حياته العسكرية في افريقية الشمالية وسورية . وقد عرض هذا المنصب اولاً على الجنرال كيوما فرفضه

فشل الريفيون في حملتهم الشديدة على مجموع مراكز القوة السيارة في اعالي نهر اللبن واصيبوا بخسارة عظيمة بعد معركة شديدة .

صددنا الريفيين في يوم ٥ الى ٦ آب بعد معركة شديدة ، وكانوا يهاجمون قواتنا السيارة في باب (تازة) ، وصددنا حملاتهم في ليل ٥ آب على جميع المراكز الفرنسوية بجوار عين معتوق في اعالي نهر اللبن

غادر النساء والاطفال (تازة) على سبيل الاحتياط بالنظر الى تسلل الريفيين الاخير

صدر بلاغ من وزارة الحربية الفرنسوية اشار الى « انباء السوء التي تنشر عن الحوادث الاخيرة التي وقعت في جهة (تازة) في شرق المغرب الاقصى » وقال « ان بعض القبائل الموالية لنا تخلى عنا قسم منها ، ففتحت بذلك ثغرة في خطنا الامامي دخل منها الريفيون ،

وهاجموا جنودنا النظاميين الذين اخذوا الان في الاستيلاء على خير المواقع لطردهم فيجب على الرأي العام والحالة هذه ان لا يجزع لحوادث لا بد منها في حرب استعمارية »

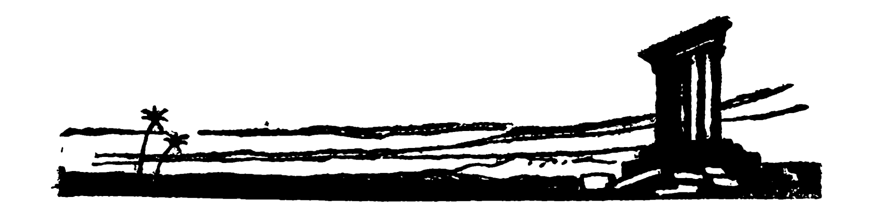
واشار البلاغ الى الصعاب التي يعانيها الفرنسيون بسبب تحسن حالة جيش الريف من حيث العدد والعدد والمهارة العسكرية اذا قيست بحالته منذ عشر سنوات « فقد اصبحت هجماته اكثر عدداً واحسن تنسيقاً وفي ساحة اوسع نطاقاً . وهو يحفر المغاور ويبني الخنادق ويقيم الاسلاك الشائكة ، فاذا كان من خطط الجيوش الحديثة المفاجأة بضربة حاسمة ، فان الافراط في التوسل بهذه الخطة مجازفة خطرة ، ولا يبعد ان تتسلل الى خطوطنا قوات العدو ، فعلينا اذن ان لا ندهش ولا نجزع اذا صادفنا صعوبات في ميدان مترامي الاطراف ادت بنا الى التقهقر في بعض المواضع لكي نعيد تأليف قواتنا وحشدها ، فان هذا التقهقر يمهد الطرق لكرات اشد واقوى

جاء في برقية من طنجة ان قوات البوليس الدولي طلبت امداداً قوامها سبعة آلاف مقاتل مخافة الاغارة على المنطقة الدولية

في ٧ منه — جاء في بلاغ اسباني انه في اثناء حركات البوليس وامداد بعض النقط في خط الاسبانيين تكبد الريفيون

خسائر فادحة وتركوا عشرة قتلى في ساحة القتال وبلغ مجموع القتلى والجرحى من الاسبانيين ٤ من الاوربيين و ٣١ من الاهالي

روت بعض الصحف ان تركيا تعاون عبد الكريم، فطلبت الحكومة التركية الى سفيرها في باريس ان ينفي ذلك . وقد ابلغ فتحي بك وزارة الخارجية الفرنسية ان تركيا — الحريصة على الصداقة القديمة بينها وبين فرنسا — لا تتدخل فيما يجري في خارج حدودها الوطنية .



القسم الثالث

عبد الكريم واوروبا

— ١ —

عبد الكريم يتهم !

راح عبد الكريم يتحدث في مذكراته عن الخلافة الاسلامية وكيف انها عرضت عليه ، فابى قبولها ، ثم انتقل في حديثه الى مصطفى كمال باشا فقال : انه رجل ...

وهو من المعجبين بزعيم الترك ، يقدر نبوغه وعظمته وجرأته حق قدرها

وقد قال عبد الكريم في حواره وهو يتحدث عن الوهابية :

— نحن المسلمون لا نزال في غفلة ممضة ، ومن الحق ان نفعل ما فعله الوهابيون من الرجوع الى الفطرة الاسلامية الاولى ، ونبذ العقائد والتقاليد التي تمكنت من الاسلام والمسلمين والتي ليست من الدين في شيء ابداً

ولست انتقد على ابن سعود الا امراً واحداً وهو تأييده للسياسة الانكليزية وسيره على غرارها ...

لقد جرب بعض الهنود الذين يقيمون في لندن مساعدتي بالمال والذخائر ، ولا ادري اذا كانت مساعدتهم هذه لي بالاتفاق مع

الانكليز من رجال السياسة ام **لا** ، وكل ما اعلمه ان هناك مساعدة عرضت ، ولكن دون ما نجاح.

ولقد كان يسكن في عاصمتي (اجدير) بعض الانكليز ، وكانت تأتيني الذخائر والمعدات الحربية من جبل طارق الى (مورو) بطريق البحر طبعاً وعلى البواخر الصغيرة والكبيره ، وقد عرض علي بعض الانكليز الهرب على احدى هذه البواخر لما ظهر لهم حراجة الموقف في الريف ، وعدم استطاعتي المحاربة طويلاً ، ومن يدري فلعلهم كانوا يرغبون في وضعي تحت رقابتهم في مكان بعيد ريثما تحين الفرصة فيدفعون بي الى الثورة ثانية !!!

واما علاقاتي مع الايطاليين فكانت مرتبطة باحد سكرتيرية القنصلية الايطالية في طنجة ، وقد عرض علي هذا باسم حكومته ان يمدني بكمية من الذخائر والعتاد الحربية التي تمكنني من اقلاق راحة فرنسا في مراكش نفسها ...

وقد كرر السكرتير الايطالي دعوته لي هذه غير مرة ، وارسل الي في المدة الاخيرة طياراً ايطالياً ليعمل تحت اوامري

والواقع ان اغراض ايطاليا الاستعمارية ظاهرة معروفة ، فان حكومة ايطاليا لا تنكر مطامعها في البحر المتوسط ، وهي تطالب بحقوقها على شواطئه بصورة رسمية ، ودائرة الاستعلامات الافرنسية تعلم بهذه المطامع ، وتعرف المدى الذي كانت تعمل

له ، فليس والحالة هذه في اقوال عبد الكريم وتصريحاته شيء جديد في ما يتصل بالمطامع الايطالية في الريف وغير الريف

***

سأل المراسل عبد الكريم قائلاً :

— وهل كان لديك كمية وافرة من الادوية وغير الادوية التي يحتاج اليها الجند لتضميد جراح افراده من الجرحى

— اجل ... لقد غنمنا في معركة انوال كمية وافرة من الادوية ، وقد كفتنا هذه الكمية ما يقرب من سنتين ، وبعد سنة ١٩٢٥ اخذنا نشعر بالحاجة اليها ، فان طياراتكم كانت تجرح كثيرين منا ، واني اذكر ان قنبلة واحدة اطلقتها احدى طياراتكم علينا جرحت ما يقرب من ستين نفراً ...

وعلى اثر ذلك اضطررنا لطلب المعونة من جمعيات الصليب الاحمر الاجنبية للعناية بمرضانا وجرحانا

— ومن كان يقوم في جيشك باستعمال المدافع ، ومن كان يصنع لك الرصاص وغيره؟

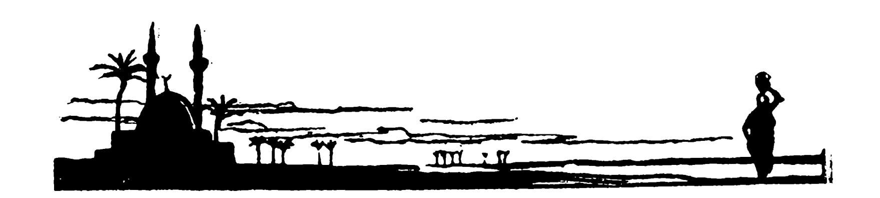
— انسيت ان كثيرين من الريفيين كانوا يخدمون في الجيش الافرنسي في مراكش قبل نشوب الحرب ، وان هؤلاء كانوا يعودون الى بلادهم بعد انتهاء مدة خدمتهم ، فهؤلاء وغيرهم كانوا يقومون بهذه الاعمال

— وقد كان لديك احد الضباط الالمان ايضاً ، وهو رجل كنت تعهد اليه بادارة المدفعية ومراقبة صناعة المعدات الحربية

ـ هذا صحيح وهو يدعى (كلمب)

ـ وهل كان في جيشك كثير من الغرباء

ـ نعم ولكنهم لم يكونوا يعدون اكثر من خمسين شخصاً واكثرهم من الالمان ، وقد عهدت بادارة فرقة المتراليوز الى احد هؤلاء الالمان ، وقد كان يخدم قبلاً في الفرقة الاجنبية الافرنسيه .



- ٢ -

السلاح من الخارج

قال عبد الكريم وهو يحاور الصحفي الافرنسي :

« لقد اخبرتك قبلاً باني لم اكن بحاجة الى شيء من السلاح يحمل اليَّ من الخارج ، وقد اشرت الى سبب ذلك ، وهو ان ما غنمناه في معركتي انوال وششوان من الذخائر وانواع العتاد الحربية حتى وما يتصل باسلاك التلفون وغيرها كان كثيراً بحيث انه كان كافياً لحاجات الجيش الريفي مدة طويلة .

« والواقع اننا لم تفكر مطلقاً بالسعي للحصول على ذخائر واعتاد حربية من الخارج ، هذا عدا اربعمائه بندقية اشتريناها من احد التجار الاجانب ، وصار حملها الينا بواسطة باخرة انكليزية :

واما ما بقي من البنادق والخرطوش والمتراليوز والمعدات الحربية الاخرى التي كان جيشنا بحاجة اليها فقد اغنانا الاسبان عن شرائها باستخلاصنا منهم المقادير الوفيرة من هذه الانواع في المعارك التي انتصرنا بها والتي يعرف العالم من اخبارها شيئاً كثيراً ، ويجب ان اضيف الى ذلك ايضاً ما كنا نستخلصه من ذخائر حربية في المناوشات

الصغيرة فان هذه اذا عدت وجمعت كانت قدراً عظيماً ·

ولكني لست انكر ان تهريب السلاح في المنطقة الاسبانية كان امراً واقعاً ، وان اكثر هذا السلاح المهرب كان يصير الى الريف في آخر الأمر فكنا نأخذ حاجتنا منه ، فيتضح من ذلك ان الذخائر الحربية كانت متوفرة لدى الجيش الريفي وان الحاجة لم تكن تدعو والحالة هذه الى استجلاب شيء من الخارج ، هذه هي الحقيقة ، وهذا ما كان يقع دائماً وابداً ·

ولا بد من الاشارة الى ان الاربعمائة بندقية التي ذكرتها سابقاً وصلتني بواسطة الكبيتان غردنير الذي كان يعدني بكثير من المساعدات المالية والحربية ولكن شيئاً من وعوده لم يتحقق ·

ولما راح يذكر له الصحفي الافرنسي خبر الستة عشر الف بندقية التي وصلته من هامبورغ ، لم ينكر عبد الكريم خبرها ، وقال انها قديمة العهد ·

وزاد على ذلك قائلاً ان احد الضباط الافرنسيين قد باعه بعض المعدات الحربية ، وكان ذلك طبعاً قبل نشوب الحرب بين عبد الكريم والقوات الافرنسية في مراكش ·

وقد يكون غرض الضابط الافرنسي من ذلك ما اعتقده من صداقة عبد الكريم لفرنسا وان من الحكمة السياسية والعسكرية والحالة هذه تأييده على عدوه الاسباني ·

وقد انكر عبدالكريم ان يكون قد استجلب حبوباً او مايتصل بهذه من حاجيات الاعاشة من الخارج ذلك لان رجاله وسكان الريف عامة يعيشون على القليل وما يزرع في ارضهم من حبوب وبقول يكفيهم ٠

واعترف بان بعض تجار قبيلة جبالة ، كانوا ينقلون اليه بعض الحاجيات الغذائية كالقهوة والسكر وبعض الملابس من طنجة وان الاسبانيين انفسهم لم يكونوا يمانعون في مرور تجار هذه القبائل بين الخطوط الا حين اعتزموا اقرار الحصار على الريف فاضطر عند ذلك عبد الكريم الى ارسال بعض رجاله لحراسة القوافل التجارية التي كانت تغادر طنجة الى الريف ٠

وزاد عبد الكريم على ذلك قائلاً :

— ان الانكليز او التجار الانكليز لم يكونوا يتأخرون عن ارسال الاعاشة اللازمة للريف ، وقد استفاد الريف من ذلك فائدة عظيمة ٠

ولما سأل الصحفي الافرنسي عبد الكريم عن حالة الريف وكيف كان بامكانه متابعة هذه الحرب الطويلة اجابه هذا قائلاً :

— لقد كانت مالية الريف منظمة تنظيماً حسناً ، وكان دخل الخزينة يقرب من مائتي مليون بستة ، وكانت موارد الخزينة من الضرائب والجزية التي كنت افرضها على بعض القبائل الثائرة ،

ومن الفدية التي كانت اسبانيا تدفعها ثمناً للاسرى الذين كانوا يسقطون بين يدي رجالي وهـذه كانت تدر على خزائني مبلغاً عظيماً من المال في كل سنة .

***

وقد كتب مراسل جريدة التيمس الانكليزية في (رباط) الى جريدته في ابان المعارك الافرنسية الريفية يقول :

« لقد أخلى الفرنسويون ثلاثين حصناً من سلسلة الآكام المرابطة فيها جيوشهم ، والريفيون تحصنوا في خنادق احتفروها على طراز فني دقيق وابدعوا في تحصينها ، ومنحدرات تلك الآكام صخرية مغطاة بغابات كثيفة واحراش عظيمة ، فالمهارة التي حصنت بها خنادق الريفيين في مثل تلك المنحدرات الصعبـة مما يجعل تدميرها بالمدافع امراً عسيراً ، وهكذا فقـد عجزت حتى الكبيرة منها (عيار ١٥٥ مليمتراً) عن اجلاء الريفيين المشهود لهم بالبسالة عن تلك الخنادق ، ومما يستحق الذكر ان قنابل الافرنسيين التي تصيب المرمى تقتل كثيراً من الريفيين ولكن الذين ينجون من القنابل يتابعون هجومهم بشجاعة غير هيابين نار الاعـداء حتى يتمكنوا من تناول الجنود الافرنسية بنيرانهم عن مرمى قريب ، وفي كثير من الحالات كان رجال القبائل يثبتون في خنادقهم بالرغم من اعمال المدفعيات الهائلة وهم يتابعون اطلاق النار بكل

طمأنينة وفاقاً للاوامر الصادرة اليهم ·

قد ظن في باديء الامر ان استبسال الريفيين الى حد التهور ناتج عن قلة اختبارهم وتمرسهم باساليب القتال الفنية وانهم لا يلبثون ان يتناقص عددهم تدريجاً ، ولكن الحقيقة جاءت مخالفة لهذا الظن لان الريفيين مايزالون يظهرون استخفافهم بالموت وشجاعتهم الفائقة ، وليس ثمة اقل دليل على ظهور التراخي في صفوفهم ، كما ان رباطة جأشهم حيال كل اسلوب من اساليب القتال الحديثة ظلت هي هي ولم تتبدل ·

ومن المستحيل ان يتمكن احد من تقدير عدد المقاتلين في الجيوش الريفية نظراً لسرعة حركاتهم وكثرة تنقلهم وكل تقدير من هذا القبيل هو تقريبي ، اما غذاؤهم فمقتصر على رغيفين بدون ادام في اليوم لكل واحد منهم ، وعلى هذين الرغيفين يزحفون ويحفرون الخنادق ويحاربون ·

وهنالك العصابات العديدة التي دأبها الاغارة على صفوف الافرنسيين وارهاب سكان القرى ، وبالنظر لسرعة هجومها وحركاتها فمن المتعذر مطاردتها ولكن الاهالي ـ بمساعدة الجنود غير النظامية ـ يبذلون قصاراهم لاجتناب اخطار تلك العصابات جهد الطاقة ·

ذلك فضلاً عن ان عبد الكريم لا يفتأ ينشر دعايته وراء الحدود فيوزع النشرات والرسائل واكثرها تقع بايدي الافرنسيين

اما عن طريق القبائل المخلصة او عن طريق آخر ، وفي معظم تلك الرسائل يؤكد بانه عازم على دخول فاس قريباً ويسمي اسماء المواقع التي اخلاها الافرنسيون مدعياً انه اسر عدداً كبيراً منهم الى غير ذلك من اساليب الدعاية والترويج ، والحقيقة انه حاول مراراً ان يخترق قلب الافرنسيين ليزحف على فاس ولكنه في كل مرة كان يخفق .

ومما لا ينكر ان الحالة في فاس هادئة لم تضطرب ، ولكن سكانها متعجبون من بطء حركات الجيوش الافرنسية وسرعة حركات الريفيين غير عالمين ان المدفعيات الكبيرة وسائر معدات القتال التي يحارب بها الافرنسيون تحول دون السرعة في حركاتهم بعكس الريفيين الذين يحاربون برغيفين في النهار وعدة قراطس للبندقيات ولا يحملون سواها .

اما ذخائر الريفيين فوفيرة ومعظمها مما كسبوه من معاركهم مع الاسبانيين ومواسمهم في هذه السنة كافية لتموينهم ولا ينكر ان هنالك عدداً من الضباط الالمانيين يحاربون في صفوفهم ولكن الفضل في ثباتهم عائد الى شجاعتهم وبنوع خاص الى المقدرة التي امتاز بها الامير عبدالكريم في الادارة وتنظيم الصفوف بحيث يعجز اي اوربي كان عن ادارة تلك البلاد بمقدرة عبد الكريم ما لم يكن قد قضى عمراً طويلاً في الريف .

وقال عبد الكريم :

تسألني عن الطيارات التي كانت لدى الجيش الريفي فاقول لك ان الضرورة العسكرية كانت تقضي بان يكون لدي بعض الطيارات ، اعزز بها نفوذي واوثر بواسطتها على قبائلي ، وابعث بواسطتها الخوف في قلوب الاسبانيين ، حين يرون ان خصمهم ليس اقل منهم عدداً وعدداً .

ولكني في الواقع لم اوفق الى شراء غير طيارة واحدة ، واما الطيارات الثانية فكانت طيارات صحية لنقل المرضى والادوية من مكان الى آخر .



— ٣ —

غوردون كانينغ وغيره !!

قال عبد الكريم :

« زارني المستر غوردون كانينغ مرتين في الريف، وقد استقبله في المرة الاولى شقيقي فأخبره انه جاء الريف بطريق طنجة ، وانه مرسل من جمعية الصليب الاحمر ، ويريد ان يعلم فيما إذا كنا بحاجة إلى خدماته وادويته ، واذا كنا كذلك لا نرى بأساً في عقد الصلح مع لاسبان ، وما هي شروطنا ؟

وقد اجابه شقيقي على ذلك قائلاً : ان شروطنا لعقـد الصلح تنحصر في امرين : جلاء الاسبان عن المنطقة الريفية ، والاعتراف باستقلال الريف .

وكان كانينغ حذراً في حديثه وحواره ، لا يريد ان يتورط في ماليس من اختصاصه ، وكانت زيارته الاولى سنة ١٩٢٤ وذلك قبل تقدم الافرنسيين إلى نهر ورغه ، وقبل نشوب الحرب بيننا وبينهم .

واما زيارته الثانية فكانت عن طريق مراكش الافرنسية ،

وكان شقيقي في داخل الريف فلما علم بقدومه اسرع لمقابلته ، فراح كانينغ يكرر امامه رغبته في خدمتنا ، وطلب منا تعيين شروطنا لاقرار الصلح مع فرنسا وذكر لنا ان المسيو ستيغ المقيم الافرنسي العام في مراكش رجل كريم الاخلاق محب للصلح والسلام ، فاجبناه اننا نكلفه بان يقوم هو نفسه بمخابرات الصلح هذه وزودناه بكتاب رسمي منا بهذا الشأن ·

وقد كثرت الشوائع والاخبار حوله بعد ذهابه وراح بعضهم يلصق به تهماً لا علاقة له بها ، وذهب بعضهم ينشر عن لسانه اقوالاً لم يتحدث بها الينا ، وقد كتب لي كانينغ يقول : « انه وجد كثيراً من العقبات في طريقه ، وانه لم يوفق في الصلح الذي وعد باقراره · »

هذا ما قاله عبد الكريم بشأن علاقاته مع كانينغ ، والواقع انه لم تقم البينة على ان هذا كان يعمل للاضرار بالمصالح الافرنسية ، ولكن علاقاته مع (غردنير) الذي راح يقدم إلى عبد الكريم ستة عشر الف بندقية لا تبعث على ازالة الشكوك التي حامت حوله ·

ولكن الثابت اليوم هو ان كانينغ لم يستفد ابداً من علاقاته مع الريفيين وانه صرف من جيبه في سبيل الدعاية للصلح والسلم اكثر مما وعد به او اعطي له ·

***

اما علاقات عبد الكريم مع المستر (هاريس) مراسل التيمس فتتلخص في ان هذا راح يقول لعبد الكريم بان اسبانيا وفرنسا لا تستطيعان الدخول الى الريف واحتلاله ، وان الحالة السياسية الداخلية في فرنسا حرجة جداً ، وما على عبد الكريم الا ان يستفيد منها وان يقف ثابتاً ، وهو الذي منع عبدالكريم من قبول شروط الصلح التي عرضها الافرنسيون عليه عام ١٩٢٦ ، وكانت وعود المستر هاريس هذه سبباً في اطالة مدة الحرب ، ظناً من عبد الكريم بان الحرب كلما طالت كان ذلك اكثر فائدة له ولمصالحه ، وقد يكون من نتائجها تدخل الدول العظمى وحمل اسبانيا وفرنسا على الاعتراف باستقلال الريف وترك البلاد لاهلها .

وهناك غير المستر هاريس وسواه من الذين زاروا الريف ، من الصحافيين ، وغير الصحافيين ، والظاهر ان الجميع كانوا يعتقدون ان فرنسا لن تحارب الريفيين ، فكانوا والحالة هذه ينصحون لعبد الكريم بمقاومة الاسبان والثبات في موقفه ، وكان اكثر هؤلاء ايضاً من الذين يطلبون بعض الامتيازات في الريف لاستخراج ما فيه من معادن وثروة .





الامير عبد الكريم

القسم الرابع

نهاية الحرب الريفية

— ١ —

نتائج الدعاية الافرنسية

قال مراسل جريدة الشيكاغو تريبون الاميركية لعبدالكريم في منزله في اليوم التاسع من شهر حزيران سنة ١٩٢٥ وذلك في ابان المعارك بين الريف وفرنسا :

« قابلني عبد الكريم لاول مرة في ٩ حزيران (١٩٢٥) في بناية من بنايات مركز القيادة العامة في (اجدير) وهو يدير منه حركة القتال في ثلاثة ميادين مختلفة ، وكانت تلك البناية مؤلفة من دورين (طابقين) ومساحتها لا تتجاوز ثلاثين قدماً مربعة وعلوها لا يتجاوز خمسة عشر قدماً ، وقد حفرت حولها الخنادق وأُقيمت فوقها الاستحكامات ليلجأ اليها عبد الكريم ورجال حاشيته إذا شنت طيارات العدو الغارة على المدينة ، ولا يزيد اتساع الغرفة التي استقبلني فيها الزعيم عن عشرة اقدام اما طولها فيمتد على طول البناية كلها ، وقد استعيض فيها عن النوافذ بثلاثة ثقوب صغيرة ، وعلقت على احدى جدرانها خمس بندقيات اسبانية ومسدس كالذي

يحمله الضباط وتلفون غنمه الريفيون من الاسبان ، وهو متصل بجميع خطوط القتال ويقضي عبد الكريم أمامه ثماني عشر ساعة يومياً في اصدار الاوامر والتعليمات الى ضباطه وجنوده ، واول ما استوقف نظري عند وصولي الى مركز قيادته بساطة المكان وخلوه من مظاهر الابهة والعظمة ولم يكن على الباب الخارجي سوى حارسين أما في الداخل فلم ار حرساً على الاطلاق كما انه ليس في مظهر عبد الكريم ما يميزه عن سائر مواطنيه حتى البسطاء منهم ، وهو يرتدي برنساً بني اللون وطربوشاً ابيض وينتعل خفين كالذين يلبسهما أهل المغرب الاقصى ومع هذا يسهل على الاجنبي تمييزه عن رجال حاشيته ، أما وجهه فممتلئ بيضوي وفيه من الملامح العربية ما يكفي لتعزيز ادعاء صاحبه وهو انه من سلالة النبي (صلى الله عليه وسلم) وله عينان واسعتان غير انهما متقاربتان وقد اطلق لحيته وشاربيه فزينا بسوادهما بياض وجهه واسنانه ، فلما دخلت عليه حياني تحية مرحب وصافحني على الطريقة الاوربية ودعاني الى الجلوس على وسادات وضعت على الارض في الطرف الآخر من الغرفة مقابل مكتبه فنزعت حذائي وجلست ، أما هو فقام الى التلفون وخاطب احد قواده ثم عاد الى جانبي وقد ادركت ان في رجليه عرجاً خفيفاً ، علمت بعد ذلك ان سببه محاولته الهرب يوماً من سجنه فلم يوفق وسقط الى الارض فألم برجله هذا العطب الخفيف .

ولقد حدث عبدالكريم احد محرري الصحف الافرنسية قائلاً :
انه بعد المعارك التي روينا بعض اخبارها في الفصول السابقة ، وفي اواخر سنة ١٩٢٥ اخذ يشعر باضطراب القبائل التي كانت تؤيده ، والتي ضمنت له الاخلاص والتأييد ، فادرك عندئذ انه لن يوفق في حربه المقبلة مع الافرنسيين والاسبانيين ، وان خصومه فائزون لا محالة .

واشار عبد الكريم الى ان السبب المباشر في انفضاض بعض القبائل من حوله يعود الى الدعاية الافرنسية التي راح يروج لها انصارهم في طول الريف وعرضه وبين قبائله وجماعاته ، وان الافرنسيين لما احسوا باقتراب فصل الشتاء واستحالة خوض المعارك الحربية فيه صرفوا همهم الى اثارة الشعب الريفي على زعيمه ، وتقطيع الاواصر التي تربطهم به وقد وفقوا في ذلك كل التوفيق .

واحس عبد الكريم بخطورة هذه الروح السلمية التي اخذت تنسل إلى صفوف الريفيين ، وادرك انه فاشل في معارك السنة المقبلة فراح يطلب الصلح بواسطة الكابتين كاينغ الذي اتينا على ذكره في فصل سابق ، وتساهل مع الافرنسيين فسمح لبعض جمعياتهم الصحية بالدخول الى الريف للعناية بالمرضى وتقديم الادوية اللازمة اليهم .

وقد انكر الامير عبد الكريم ان يكون رجاله قد اساءوا

معاملة الاسرى ، ولكنه اعترف بانه لم يكن بامكانه اطعامهم طعاماً حسناً ، وان الطعام الذي كان يقدم اليهم هو نفس الطعام الذي كان يقدم لرجال جيشه المحارب ، وانه لم يكن في الريف احسن منه ولا افضل .

وانكر ان يكون امر باعدام بعض الاسرى ، واعترف بان بعضهم توفي بسبب الامراض التي اخذت تجتاح بعض امصار الريف في ذلك الوقت ومنها مرض التيفوس .



- ٢ -

فشل مؤتمر وجده

لما تناول عبد الكريم الاسباب التي دعت الى فشل موتمر وجده. قال :

« لم نذهب الى هذا الموتمر الذي دعينا اليه الا رغبة منا بالسلام ولم نذهب اليه للاتفاق مع الاسبان وانما للاتفاق مع فرنسا ولم يكن يهمنا الاتفاق مع الاسبان بقدر ما كان يهمنا الاتفاق مع الافرنسيين . وقد امرت رجالي الذين اوفدتهم لحضور الموتمر باسمي بان يقبلوا الشروط التي تعرض عليهم ، ولكن احداً في الريف لم يكن يرضى بان يكون من جملة هذه الشروط مغادرتي الريف وتركه وشأنه .

ولو اني قبلت بهذا الشرط لعدني الريف هارباً خائناً يترك بلاده في وقت هي اكثر ما تكون بحاجة اليه ، نعم لقد كنت اعلم اني فاشل في حربي المقبلة معكم ، ولكن هذا لا يمنع الانسان من القيام بواجبه حتى النهاية ، وهذا الواجب كان يضطرب في هذه الحرب التي كان الغرض منها استقلال الريف والوصول الى حرياته

ولما سأله الصحافي الافرنسي قائلاً :

– ولكن النتيجة كانت واحدة ، فقد اضطررت للتسليم اخيراً ، وفشلت في حربك التي قمت بها ٠

– هذا صحيح ولـكن هذا الفشل لا ينطبق عليَّ وحدي ، فقد فشلت ، هــذا امر مقرر ، ولـكني لم افشل الا بعد ان حملت فرنسا على ان ترسل الى الريف مايتي الف جندي وكميات كبيرة من الذخائر والاسلحة والمعدات الحربية ، اضف الى ذلك انني في سنة ١٩٢٤ وهي السنة التي عرض فيهـــا كشرط لقبول الصلح مغادرتي الريف ، كنت لا ازال السيد المطاع في الريف كله ٠

واضيف إلى ذلك ان فرنسا قد خسرت الريف باخذها اياي اسيراً ، ولو انـكم تركتموني سيداً على الريف لـكان موقفـكم فيه غير موقفكم اليوم ، ولكننت قد اخذت كل ما احتاج اليه من الرجال والمهندسين والفنيين من رجالكم وابنائـكم ، وانت تعرف ان الريفيين لايكرهون فرنسا ، وانهم يفضلونها الف مرة على الاسبان ٠

لقد عرفت بعد مؤتمر وجده ان فرنسا قد انفقت مع اسبانيا فعدت الى الحرب يائساً حزيناً قليل الامل بالانتصار ٠

لقد انتهت الحرب اليوم ، وعاد الريف الى اسبانيا ، ولـكنها لن توفق الى اخضاعه والايام بيننا ٠٠٠

— ٣ —

تسليم عبد الكريم

قال عبد الكريم !

لقد كنت احارب دولتين قويتين ، ولم يكن لدي من الرجال غير عصبة قليلة ، قليلة بعددها ، واسلحتها وذخائرها ، وكنت على مثل اليقين كما قلت قبلاً من ان فشلي قد اصبح امراً منظوراً ، فرأيت ان الحكمة الانسانية تقضي عليَّ بالتسليم ورمي السلاح رحمة بسكان الريف وقبائله ان تُلِمَّ بهم ويلات حرب لم يبق فيها امل فتذهب بالبقية الباقية منهم .

ولكنني كنت قررت قبلاً ان اهاجم الاسبان على رأس فرقة مخلصة من رجالي فلا ارجع عنهم الا بعد ان اسقط في ساحة الوغى قتيلاً دفاعاً عن بلادي ووطني .

ولكن انصاري لم يرضوا فكرتي هذه ، واخذوا يحاورونني بما يصيب عائلتي من بعدي ، فعدلت عندئذ عن فكرتي هذه وقررت ان اسلم نفسي لفرنسا وانا على يقين من عطفها وحسن وفائها

ان لي في الريف بعض الاملاك وكل املي ان تعنى بها فرنسا

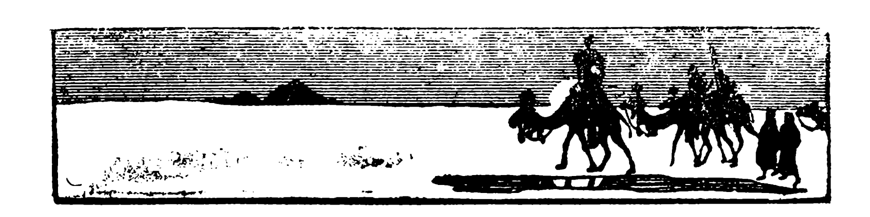
العناية اللازمة ، حتى اذا عدت في المستقبل الى بلادي كان بامكاني ان اجد فيها مورداً يمكنني من العيش بهناء مع عيالي واهلي .

ولقد تحدث كثير من الصحافيين عن ثروتي وقال بعضهم ، ان لدي عشرة ملايين من البستات ، والواقع اني لا احمل معي الى منفاي غير ربع مليون من البستات مع ان عليّ ان اعيل خمسة وعشرين نفراً .

***

وهكذا انتهت حياة هذا الزعيم الريفي العسكرية ، التي توفرنا على بسط وقائعها في هذا الكتاب الذي نعتقد بحق انه اقرب الكتب التي صدرت عن عبد الكريم وسيرته وتاريخه الى العدل والانصاف .

انتهى الكتاب



فهرس الكتاب

للمعرب

الكتب المطبوعة

	سنة
تاريخ سوريا ولبنان حتى اول القرن التاسع عشر	١٩٢٦
« « « في القرن التاسع عشر	١٩٢٧
في دولة الادب والبيان (طبعة ثانية) كتاب في الوصف والنقد وفنون الادب	١٩٣٣
رجال الجمهورية (لبنان) (١٩٢٦ - ١٩٣٣)	١٩٣٣
هارون الرشيد نيسان	١٩٣٤
تيمور لنك - معرب عن الانكليزية - (مايس)	١٩٣٤
فيصل ملك العراق - « « - (تموز)	١٩٣٤
بطل الريف الامير عبد الكريم - معرب عن الافرنسية - (آب)	١٩٣٤

حسن قضة عربية شرقية
الروايات البوليسية الوطنية
مجموعات البوليس وعددها خمس مجلدات
} ١٩٣٢ - ١٩٣٤



تصدر قريباً

المجلة الاهلية

يصدر العدد الاول منها في اول جمادى الاولى سنة ١٣٥٣ — آب ١٩٣٤ وسيكون كل عدد منها كاملاً في موضوعاته وبحوثه وفصوله ، بحيث يؤلف كتاباً بمفرده .

موضوعات العدد الاول

بحث طريف رائع لاحد مشاهير الكتاب الافرنسيين عن محمد والاسلام ! واليك بعض فصول هذا البحث الخطير !

ماذا يجب ان تعرف ؟؟

عن محمد والاسلام

١ — نشيد محمد والاسلام

لشاعر الالمان الاكبر (غوتي)

٢ — الروحية الاسلامية الشرقية وموقف الغرب منها

٣ — الجزيرة العربية قبل الاسلام

٤ — مواطن الوحي والاسلام

٥ — نشأة النبي العربي

٦ — الاسلام : تعاليمه ومعتقداته ونشوءه

٧ — تقدم الاسلام العجيب الفريد

٨ — الحضارة العربية في اوجها

٩ — الحياة الاسلامية الجديدة وتأثيرها ومظاهرها ووطنيتها

١٠ — الاسلام واوربا الحاضرة

تعريب : عمر ابو النصر

البحث عن الله !!

— اسلام نبيلة انكليزية —

وحجها الى مكة والمدينة

لماذا اسلمت ؟ الاسلام دين الانسانية ، وصف المسجد الحرام والحرم النبوي ، الحياة الاسلامية وما فيها من طرافة وجمال واخلاص

تأليف : النبيلة الانكليزية اللادي ايفلين كوبولد

— زينب —

وتعريب — عمر ابو النصر

هذا بحث نعتقد بحق انه فريد في نوعه وطرفه واسلوبه ، وما نعلم ان سيدة اجنبية قبل اليوم وان كانت مسلمة قد تمكنت من الدخول الى مكة والمدينة والقيام بشعائر الحج والاسلام ، ولا سبق ان تناولت واحدة منهن ما يعتور عواطفها ويثور جنانها من اضطراب العواطف وثورة القلب ، حين تعتنق الاسلام دينًا وتؤمن بالله ربًا وحده لا شريك له

ولعل اطرف فصول الكتاب هذا الاخلاص الذي يظهر مجسماً في كل فصل من فصوله ، وفي كل فقرة من فقراته ، ثم هذا الاطمئنان الذي غلب على عواطف الكاتبة فراحت تطمئن الى انها قد وفقت الى السبيل القويم حقًا ، وانها قريبة من الله ابداً ، ما تتصل به بواسطة ولا سبيل ، فهو كائن في كل مكان ، قريب منها بل اقرب من انفاسها اليها

بحث فريد لم يسبق ان نشر مثله في العربية حتى اليوم ، وسيصدر قريبًا ، وفي العدد الثاني من (المجلة الاهلية) ومن المنتظر ان تبلغ صفحاته مائتين وخمسين صفحة وبذلك يكون عدد هذه المجلة عن شهر جمادى الثانية — ايلول عدداً ممتازاً يمثل فصل الخريف في طرافة هوائه ، وبديع سمائه ، وجميل نجومه

خلفاء محمد (صلى الله عليه وسلم)

ابو بكر (رضي الله عنه)

عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)

عثمان بن عفان (رضى الله عنه)

علي بن ابي طالب (رضي الله عنه)

دراسات تاريخية اجتماعية جامعة لم ينشر مثلها في العربية قبل اليوم، وسيختص كل كتاب بدرس واحد من الخلفاء فيتناول تاريخه واعماله وفتوحات عماله في عهده، فديوانه فتقدم الاجتماعيات في زمنه وذلك وفاقاً للاسلوب والتقسيم والتبويب الذي تتبعناه في كتابي هرون الرشيد وتيمور لنك

